THE SELLER OF ANXIETY

# بائع القلق

أنمار رحمة الله

SHORT STORIES
قصص قصيرة

# بائع القلق

# بائع القلق

# The Seller of Anxiety

أنمار رحمة اللّه

الطبعة الأولى: بيروت ـ لبنان، 2018

First Edition: Beirut _ Lebanon, 2018

© جميع حقوق النشر محفوظة للناشر، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق

لبنان ـ بيروت / الحمرا

تلفون: 345683 1 961+ / 541980 1 961+

بغداد ـ العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: 07810001005 / 07830070045

daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com

dar alrafidain
Dar.alrafidain
دارالرافدين@daralrafidain -l

تنويه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 1 - 77322 - 518 - 0

قصص

# بائع القلق

أنمار رحمة اللّه

www.daralrafidain.com

*«القصة القصيرة الجيدة، تنتزعني من نفسي، ثم تعيدني إليها بصعوبة، لأن مقاسي قد تغيّر، ولم أعد مرتاحاً بداخلي كما كنتُ قبلها»*

*القاص والإعلامي الأمريكي*

*(ديفيد سيداريس)*

# الفهرس


ضياعٌ في المقبرة ........ 7
ثأر ........ 12
خَواتِم ........ 17
تواطؤ ........ 20
الطَّريق ........ 24
بائِعُ القَلَق ........ 27
صَداقة ........ 30
عودةُ سانتا كلوز ........ 34
جزيرةُ المودَّة ........ 37
الحديقةُ السّرية ........ 41
اللِّص ........ 44
ساعةُ الطِّفل ........ 47
الشَّوْكيّون ........ 50
كحول و مِئذنة ........ 53
في انتظار جوجل ........ 56
ديستوبيا ........ 61
الكلماتي ........ 64
رِقاب مُتحجِّرة ........ 67
طرفُ المشنقة ........ 70
عشيرةُ العاقول ........ 73
الحزب ........ 76

صوت الحِملان 78
عائلتي 80
قبلَ مجيء الصَّباح 82
برْداً وفَزعاً 85
مدينةُ الأقفال 86
ماذا حلَّ باليمام..؟ 87
إِضْراب 88
اليد 89
حينَ أكون وحيداً 90
يوميات رجل 91

# ضياعٌ في المقبرة

سألَ الضابطُ سائقَ السيارة:

ـ هل حدث هذا بالفعل؟

اجابه السائق وقد أرخى جفنيه مقلباً أوراق الذكريات في رأسه، متكئاً على باب سيارته:

ـ نعم... حدث من قبل، بالتحديد قبل أربعين سنة أو أكثر بقليل، لا أذكر بالضبط السنة ولكنني أعرف جيداً تفاصيل القصة.

سأله الضابط بفضول عن القصة فابتسم سائق السيارة وقال:

ـ مهنة السياقة ورثتها عن أبي من قبل، فأبي كان سائقاً وكان متخصصاً بنقل الجثامين. كنت طفلاً في تلك السنوات حين اتى أبي صباحاً، بعد مشوار نقل جثمان إلى المقبرة، وهو من حكى لنا الحادثة.. كان أبي لا يخرج إلى المقابر ليلاً، فكما تعلم الأشباح هناك تمارس كامل سيطرتها وسطوتها. لكن إلحاح أهل المُتوفى عليه، قد أجبره على المضي قدماً. وبالفعل ذهب أبي حاملاً التابوت على رأس سيارته حتى المقابر. كان ابن الميت موجوداً مع المشيعين، وكان محشوراً في السيارة برغبة من اعمامه في توديع والده الوداع الأخير. وظيفة أبي ايصال التابوت إلى المكان المخصص، ثم يقف منتظراً مراسيم القراءة والدفن، ويعود بأهل الميت إلى المدينة. في تلك الليلة وحين أراد الجميع الركوب، هتف أحد الرجال (الابن... ! أين ذهب الابن؟)، وبالفعل كان ابن الميت غير موجود

مع العائدين، مما دفع بالرجال إلى البحث عنه والصراخ في كل مكان.. تفاصيل المقبرة مخيفة ومعقدة، فأنت حين تسير بها في النهار قد تأخذك قدماك ولا تدري، ثم تغرق في تفاصيلها كما يغرق السباح المبتدئ في نهر عميق، فكيف بها في ذلك الوقت وتلك الظلمة الحالكة؟!. أبي لم يفعل شيئاً سوى أنه سلَّم الرجال مصباحاً كهربائياً كان بحوزته، ثم ظلَّ واقفاً قرب سيارته منتظراً عودة الرجال بعد البحث عن ابن الميت. راح جميع الرجال يهتفون باسمه بصوت عال، فيأتي صوته من مكان في المقبرة، صوت الابن يستنجد بهم صارخاً(أنا هنا... أنا هنا)، ثم يهرعون إلى مكان الصوت فلا يجدون أثراً له، فيكررون الهتاف باسمه، فيأتي صوته من مكان آخر، يهرولون إلى المكان ولكن بلا جدوى. حتى نال منهم الإرهاق وخارت قواهم، فاقترح أحدهم البقاء قرب السيارة حتى طلوع الشمس، لكي يكون الفضاء أكثر اشراقاً و تتضح الرؤية في حينها.

هبت ريح باردة جعلت سائق السيارة يسعل، ثم لف وجهه بـ(شماغ) كان يضعه على كتفه، فلم يستطع الضابط الصبر وهتف في وجهه:

ـ نعم... نعم أكمل.

ـ أيه... أين وصلنا؟

ـ ابن الميت تاه وذهب الرجال للعثور عليه وعادوا إلى مكانهم

ـ آآه..نعم... ما زلت أذكر وجه أبي حين عاد صباحاً، كان محمراً وكانت أسنانه تصطك من شدة البرد.. المهم... لكي لا يضيع الحديث عن ذاكرتي، فمع طلوع أول أشعة الشمس، نهضوا من جديد للبحث عن الصبي، كانوا جائعين ويرتجفون برداً. لكنهم كانوا مصممين على العثور على الصبي، كيف يعودون إلى امه؟، هل يقولون لها دفنا زوجك وضيعنا صبيك في الوقت ذاته؟!.

ـ وكيف كان ردة فعل أمه حين عاد؟ تساءل الضابط

ـ الأم لم تدر بحادثة ضياعه في المقبرة، إلا بعد سنوات حين كبر واشتد ساعده. لأنه لم يزر المقبرة ولا مرة واحدة بعد حادثة ضياعه فيها، حتى بعد ان كبر وتخرج  وصار صاحب عائلة ووظيفة، في ذلك الحين افشى السر لأمه، بعد أن وجد نفسه مجبوراً على تبرير خوفه من دخول المقبرة، وعذره كان أعمامه، فهم الذين طلبوا منه أن يخفي السر عن امه، كي لا يزيد على حزنها حزناً.. هل تدري يا جناب الضابط، أن المدينة كلها كانت تهزأ به من تصرفه هذا، ولكنه كان معذوراً حسب رأيي، فالصدمة التي حدثت معه في صباه، لها وقع في نفسه كبير..

ـ حسناً... اكمل قصة ضياعه وكيف وجدوه (قال الضابط  فأجاب صاحب السيارة):

ـ نعم...  أين وصلنا؟.

ـ عاد الصبح وهرع أهله لكي يبحثوا عنه.

ـ أها... نعم نعم...  مع عودة الصبح كانت المفاجأة، فقد روى لنا أبي أن أعمام الصبي ابن الميت قد فتشوا المقبرة كلها، تفرعوا يميناً وشمالاً في أدق التفاصيل. لكنهم اهملوا الرجوع إلى قبر أبيه، وبالصدفة حين كانوا عائدين إلى مكان السيارة، أخذتهم أقدامهم إلى مكان القبر فوجدوا ابن الميت، مرمياً إلى جانب القبر وقد تكوَّر من شدة البرد. حملوه بسرعة إلى السيارة، وبعد أن تأكدوا من حالته وسلامته غضبوا، ووبخوه بشدة على تصرفه هذا، فقاطعهم أبي واقنعهم أنه مازال صبياً، وهول الحادثة والمكان قد يكونا ذا تأثير بالغ عليه. في النهاية أخذوه وحملوه إلى والدته، كان مرتعباً يرتجف من أعلى رأسه إلى أسفل أقدامه.

سكت سائق السيارة برهة، مصوباً ضوء الكاشف الضوئي إلى المقبرة، ثم تكلم حين طال الصمت:

ـ هل فتشتم المقبرة كلها؟

نظر الضابط إلى صاحب السيارة بعينين ناعستين اتعبتهما الريح الباردة وقال:

ـ نعم بالتأكيد... كنت أظن أن الأمر يسير، خصوصاً أنه رجل في الخمسين من عمره، وبلا شك سيجد طريقه للوصول إلينا ولكن لم نجد له أثراً.

نظر صاحب السيارة صوب المقبرة وقال بصوت متكسر:

ـ لا أظن هذا... لقد مر أسبوع على فقدانه في المقبرة ولم تجدوا له أثراً لا في النهار ولا في الليل.. لقد تاه مرة أخرى، في هذه المقبرة اللعينة. من كان يصدق أنه سيزور المقبرة، لولا أن الظرف قد أحكم قبضته عليه، لما دخل إليها إلا محمولاً في جوف تابوت على الأكتاف.

ـ متى توفيت والدته؟ (قال الضابط)

ـ منذ أسبوع وأنا من حملت جثمانها إلى هنا (ردَّ السائق).

طالع الضابط وجه سائق السيارة طويلاً، واراد إنهاء الحديث معه والذهاب قائلاً:

ـ سأسحب الشرطة وأذهب إلى المركز، لأننا قد فتشنا بما فيه الكفاية، وأنت اذهب أي منزلك أيضاً وبخصوص أجرة سيارتك...

ضحك السائق ثم قال للضابط بصوت خفيض:

ـ لا عليك يا جناب الضابط.. أجرتي أستلمها من اولاده لاحقاً، فهم في المنزل ولم يأتوا للمقبرة مع والدهم.

أكمل الضابط إجراءات التحقيق والكشف، وضع الأوراق على جزء السيارة

الامامي، ثم دوَّن شهادة سائق السيارة، واقفل أوراق التحقيق بضياع رجل في مقبرة المدينة ليلاً، وما يزال البحث مستمراً.. ودع الضابطُ سائق السيارة، تحركت سيارة الشرطة بعيداً تاركة السائق الذي طالع الظلام برهة، ثم شغل محرك سيارته عائداً إلى المنزل، ملتفتاً كل حين إلى المقبرة، حيث كان يتهيأ له صراخ آت من المقبرة (أنا هنا... أنا هنا).

# ثأر

فُتِحَ بابُ القصر الخارجي أوتوماتيكياً، ودخلت سيارتان، الأولى كانت سيارة ضخمة، يقودها رجل سمين، والأخرى سيارة متواضعة صغيرة، يقودها رجل نحيل. كان في انتظارهما صاحب القصر واقفاً على باب منزله الداخلي. بعد إن رصف الضيفان السيارتين نبحت كلاب يمسك بها الحرّاس، وحين استشعرت الكلاب الأمان على صاحب القصير من الغريبين، توقفت عن النباح وصارت تعاين المشهد، عانق أصدقاءه الذين ضجوا بالضحك ثم باشرهم صاحب القصر هاتفاً وهو يمشي معهم في ممر الحديقة الطويل:

ـ يا لكم من أوغاد.! هل من المعقول أن نلتقي بعد سنوات.

ـ إنها المشاغل اللعينة التي باعدت بيننا طيلة الفترة السابقة (قال الرجل السمين).

ـ نعم... أنت مشغول ولا نراك إلا بالتلفاز (قال الرجل النحيل).

طبطبَ على كتفيّ صديقيه ثم حوطهما بذراعيه وقال:

ـ نعم بالتأكيد... العمل السياسي لم يدع لي الوقت حتى للتفرغ لعائلتي وشؤوني الخاصة. لقد سرقني من كل ما هو جميل، واليوم نريد أن نعيد بعضاً من الذكريات، لهذا بعثت إليكما لكي نتغدى سوية.

انبرى الرجل السمين قائلاً:

ـ لهذا تركت المصنع اليوم وأتيت فرحاً بهذه المبادرة،حتى أنني ألغيت موعداً هاماً مع شركة تجارية كبيرة إلى الغد،لكي نجلس من جديد.

وحين سكت السمين تكلم الرجل النحيف فوراً:

ـ وأنا واللّه تركت العمل في القناة وهرعت إلى هنا، صدقوني لقد كان من المقرر أن أجري مقابلة مع ضيف هام في برنامجي الأسبوعي، لكنني تركت كل شيء وأتيت.. مشى الجميع إلى صوب الجهة الأخرى من القصر، كانت مطلة على النهر، وكانت الحدائق في كل جهة، أكثر من جنائني يعمل فيهنَّ، والحراسة كانت مشددة، كاميرات مراقبة، كلاب حراسة، حراس شخصيون، كل هؤلاء مكلفون بحماية المكان وتأمينه.. جلس الأصدقاء في مكان أخضر تحت مظلة واسعة، يشرف على النهر مباشرة. هتف صاحب القصر ضاحكاً:

ـ اليوم جهزت لكما مفاجأة.. اصطاد لي الحارس الشخصي سمكة كبيرة من النهر، وهي الآن في حوض قريب من هنا.

ضحك السمين وقال:

ـ لِمَ لمْ تصدها بنفسك؟ هل تخاف النهر منذ أن غرقت به ذات يوم؟

سانده النحيف قائلاً:

ـ نعم..نعم... إنه يخاف النهر ولم يتعلم السباحة منذ حادثة الغرق.

تضايق صاحب القصر من كلام صديقيه وصاح بهما:

ـ إن كنت أنا لا أعرف السباحة بسبب غرقي، فأنتما لم تسبحا قط في النهر ولا مرة، وبهذا فأنتما لم تكسبا شرف المحاولة كما يقول بعض المتحذلقين.

ضحكوا جميعا ثم قال السمين:

ـ أريد رؤية السمكة مشوية... لا أستطيع الصبر.

ـ كاميرتي جاهزة لكي نلتقط بعض الصور (قال النحيف).

ضحك الرجل صاحب القصر ثم قال:

ـ لم تقلعا عن تصرفاتكما... ما زلت يا صاحب الكرش الأهدل شرهاً تحب الطعام، وأنت أيها المهزول ما زلت فضولياً تحب أرشفة كل شيء.

ضحكوا مرة أخرى ثم توجهوا صوب الحوض، لقد كانت السمكة كبيرة، تتحرك بشدة، تضرب الماء بذيلها ثم يتطاير رذاذه صوب وجوه الأصدقاء، فكانوا يتحاشون ضرباتها للماء مبتهجين.

ـ سمكة محلية من النهر (قال السمين).

ـ نعم..إنها محلية طيبة ولحمها شهي..تستحق الأكل (قال صاحب القصر).

ثم أمر صاحب القصر خدمه ببدء عملية شواء السمكة. ظل النحيف يلتقط صوراً هنا وهناك، ثم أشار عليه صاحب القصر بالتقاط صوراً متفرقة، للسمكة وللنهر ومكان الشوي وللجلسة والحديقة وكل شيء. وافق النحيف وظل يلتقط صوراً للسمكة الكبيرة وهي تلبط، لم تتوقف عن الحركة في كل الاتجاهات. حين كان صاحب القصر والسمين يتحدثان صرخ النحيف:

ـ انظرا... إنها لا تكف عن الحركة حتى بعد خروجها من الماء!

تقدم الاثنان إلى مكان الحوض، كان النحيف والخدم والطباخ ينظرون كلهم إلى السمكة وحركتها، كانت تتحرك بعنف، تضرب بذيلها أي شخص يمسك بها وتفتح فمها المدور وتغلقه.

(اضربها على رأسها) أمر صاحب القصر طباخه، الذي امتثل لأمر سيده ضارباً رأس السمكة، ثم هدأت قليلاً وعادت إلى الحركة بشكل أعنف

ـ شق بطنها الآن (قال صاحب القصر)

ـ نعم..نعم... ولكن لا ترم بطنها فهي لذيذة أيضاً (قال السمين)

ـ لا تستعجل بشق البطن حتى أكمل تصويري (قال النحيف)

شق الطباخ بطن السمكة، واستخرج أحشاءها وبيوضها ووضعها في طاسة. ثم فتح بطنها فكانت كأنها شراع قارب صغير. وبالرغم من شقه لبطنها، ظلت السمكة تماطل وتعاند. غرز السكينة في الجزء العلوي من طرفها وشقه إلى ذيلها، ثم دسَّ الملح في لحمها فهاجت من جديد. في الحال صاح صاحب القصر على طباخه:

ـ ضعها في آلة الشوي وقربها من النار لكي تستوي

نظر الطباخ إلى صاحب القصر، ولم يفهم كيف سيشوي سمكة بهذا الحال. لكنه حين رأى سيده ينظر إليه نظرات حازمة امتثل، ووضع السمكة في مشبك الشوي، وسجر النار في حوض حجري مخصص لشوي السمك. جلس الضيوف على الطاولة من جديد وهم ينظرون إلى منظر السمكة وهي تشوى. كانت تنبض بعنف ويسيل من جوانبها الدهن. جهز الخدم المائدة ووضعوا عليها أصناف المقبلات، وبعد نصف ساعة هتف صاحب القصر (هل اكتمل شواء السمكة؟). لم يجبه الطباخ، بل طلب من سيده أن يأتي إلى مكان الشوي. جاء السيد ورأى المنظر وصاح (أيها الأحمق... ألا تجيد شوي السمك؟). حضر صديقا صاحب القصر،قال السمين:

ـ إنها مشوية... تبدو لذيذة

لكن صاحب القصر اعترض قائلاً:

ـ إنها مشوية ولكنها لم تمت

ـ سنأكلها وهي على هذا الحال (رد السمين)

ـ نعم سنأكلها... في النهاية سترقد في بطوننا (قال النحيف)

احضر الخدم السمكة إلى مائدة الضيوف،كان البخار يتصاعد من أجزائها ورائحتها تملأ المكان. لكنها كانت تتحرك، لم تثبت منذ أن وضعها الخدم على المائدة، مما دفع صاحب القصر إلى أمرهم بتقطيعها. تم تقطيعها على الصحون وجلس الأصدقاء لتناول الغداء. كانت أجزاء السمكة تتحرك على الصحون وتنبض. إنهار صاحب القصر من المنظر، ثم هدأه صديقاه وقال النحيف ضاحكاً:

ـ سنأكلها ونلتقط صوراً للذكرى لهذا الحدث الهام

قال السمين:

ـ سنأكلها حتى لو كانت مسمومة... منظرها لا يُقاوم

تناول الأصدقاء لحم السمكة، كانوا يأكلون بتصميم. اللحم يتحرك في أفواههم لكنهم كانوا يبلعونه بصعوبة كبيرة. حتى انتهوا من طعامهم واتكأوا ليرتاحوا بعد هذا الشوط الطويل المتعب. كان النحيف أول من أحس بالحركة، ثم صاحب القصر ومن بعده السمين. أجزاء السمكة تتحرك في بطونهم، مما دفعهم إلى الوقوف والهرولة في أجزاء الحديقة، لقد كان الألم شديداً وبادياً على وجوههم. وقعوا على الأرض وتدحرجوا على مرأى كل من في القصر. بطونهم تنبض بشدة وتتحرك معدهم مع غثيان مزعج، جعل الأرض تدور بهم ولم تتوقف بطونهم عن الحركة. هرولوا بلا إرادة صوب النهر، كانت بطونهم مشدودة إلى النهر بشكل عجيب، منفوخة كأنها كرة قدم تتدحرج بهم إلى الجرف. قاوموا بشدة ولكنهم لم ينجحوا بالمطاولة. استنجد صاحب القصر بحمايته، امسكوا به لكنهم لم يمنعوا الحركة العنيفة في معدته من سحبه للجرف، هو وصديقاه اللذان سقطا معه في النهر، صرخ الأصدقاء مستنجدين لكن ثقل بطونهم والحركة الشديدة، سحبتهم صوب قاع النهر، لم تعطهم فرصة للنجاة.. كان قاع النهر مليئاً بالطين، وعدد هائل من الأسماك الجائعة.

# خَواتِم

منذ زمن بعيد احتدمت نار الحرب. وانطفئت بعد التهامها آلاف القتلى. مات فيها رجال كثر. والدي لم يمت في تلك الحرب، مع أنه كان متلهفاً لنيل الشهادة، كما تقول والدتي في كل محفل يأتي فيه ذكر اسمه أو يذكِّر أحدهم به، فتبادر والدتي لقص مسيرته وبطولاته في الحرب. عن نفسي أنا لا أذكر والدي جيداً، فأنا لم أره لأنه توفي بعد سنتين من مجيئي للدنيا. ولم تكن له صورة سوى الصورة الكبيرة التي تعلقها أمي في الصالة، الصورة التي يظهر فيها أبي بكامل أناقته، واقفاً خلف أمي التي كانت تغطي الصورة بفستان زفاف واسع. ولم أكن أشبهه إلى حد كبير، ولم أكن أشبه أمي أيضاً، وحين أسألها عن أي الفريقين أشابه من الأخوال والأعمام،فترد (أنت تشبه والدك..انظر أنت نسخة طبق الأصل منه). ولكنني لم أكن مقتنعاً برأيها، وكنت أقول أنه مجرد وهم يغزو عقلها، لأنها فقدته فظلت تشتاق إليه وتتمنى هذا كما تتمنى الكثير من الأمهات، حين يعتقدن أن أبناءهن يشبهون آباءهم. الشيء الوحيد الذي كنت أعتز به، وقد اهدته لي أمي بعد ان كبرت، هو خاتم والدي الثمين. كان خاتماً ذا شذرة غريبة، تتفرع في تفاصيلها خيوط سود كأنها عروق. لون الشذرة كان فيروزياً بلون السماء، وعلى أية حال كانت برغم الغرابة في شكلها تبدو جميلة، وقد احببتها لأنها أرث ورثته من والدي. بعد أن عرفتُ أصلها ومن أين أتى الخاتم تمسكت بها إلى أبعد حد. فهي غنيمة اغتنمها أبي من يد جندي معاد.. كانت أمي تحكي كيف تصارع الجنود على الغنيمة ولكن والدي بقوته وشدة بأسه قد استولى عليها غانماً،

ثم ارتداه بأصبعه لسنوات، متفاخراً على الرجال بهذه الغنيمة الجميلة الغريبة. العجيب أن حالة الفخر بهذا الخاتم بدأت تستحوذ على عقلي وقلبي وكلامي، لقد كنت أخرج الخاتم حين كنت صبياً للأولاد، يرونه في أصبعي مع اتساعه وعدم ثباته، لكنني لم أفرط به أو اضيعه يوماً. كنت أحكي للصبية عن خاتم أبي وعن تلك القصة التي روتها لي أمي، صحيح أنني كنت أبالغ مرة، ومرة أخترع حدثاً جديداً  في قصة اغتنام الخاتم في الحرب. لكنني كنت كمن يريد إيصال فكرة هذا الفوز، والغنيمة الكبرى التي حصلت عليها أسرتي. لقد كنت متشوقاً حد الموت إلى ان أكبر وتصير كفي بحجم كف أبي، لكي يثبت هذا الخاتم في أصبعي، ويحق لي التفاخر به والحديث عن قصته. وماهي إلا سنوات حتى تمدد جسمي وكبرت كفي، وصار الخاتم جزءاً منها. لم افارقه حتى في النوم والاستحمام.وكنت إذا خرجت من المنزل برفقة أمي أو لوحدي كانت تسألني (هل لبست خاتم أبيك؟). فأجيبها (نعم... نعم... كيف لي أن أنسى هذا الشيء). حين خطبت لكي أتزوج كانت أمي مشغولة بسرد قصة الخاتم، وحين عثرت على وظيفة، كنت أحكي القصة للموظفين حتى ضجروا مني.. أعذرهم بالطبع لأنهم لم يفهموا قيمة هذا الشيء، وما يعنيه لي ولأسرتي. حتى أطفالي الذين جاءوا إلى العالم،كنت أحكي لهم قصة اغتنام الخاتم، والبطولة التي صنعها أبي في المعارك. وأمي التي كانت تحكي لأحفادها القصة ذاتها حتى حفظوها عن ظهر غيب، وراحوا يكرروها على أطفال الحي في كل مناسبة. لم يكن ينقصني سوى صورة أخرى لأبي، غير صورة العرس الكبيرة. وكلما سألت أمي عن صورة أخرى كانت تجيب(لا توجد له صورة.. آآآه... لقد كان وضعنا لا يسمح..تعرف قديماً كانت الصورة تُلتَقط بصعوبة). ومع كل هذه الإجابات من امي، قررت البحث عن صورة لوالدي، فلم أكن مقتنعا بكلامها، وبالفعل ذهبت إلى المصور القديم، أخذت اسم الاستوديو الذي يملكه من أسفل الصورة. كان المحل مهجوراً

مترباً، وكان المصور جالساً على مقعد قديم، برأس أشيب، وعينين تختفيان وراء نظارتين كأنهما كعبا قدحين. سألته عن صورة عرس أبي مع تاريخها ورقمها، وإذا بالمصور قد تعرف عليَّ مباشرة. ثم راح يحكي عن الصورة واحداثها، وكيف أن أبي لم يكن يملك ثمن البذلة، وتداين بذلة لكي يرتديها في الأستوديو. تضايقت في الحقيقة من حديث المصور، لأنني أعرف جيداً أن والدي كان غنياً كما حكت لي أمي، بل كان ينفق على عوائل من الفقراء في الحي، فكيف يتداين بذلة في يوم عرسه!. ثم أنني قررت أن أصفع ذلك المصور كما صفعني بالكلام، فرحت أتباهى بخاتم والدي الذي ألبسه. وكيف أن الخاتم ظل باقياً ولم نفرط به، حتى بعد رحيل والدي وتلك القصة البطولية له في الحرب.. ضحك المصور واستفزني جداً بضحكته ثم قال لي(من اخبرك بهذا؟). اجبته فوراً (أمي بالطبع... ليست أمي بل الجميع يعرف بهذا). رد المصور بكلمات منهكة (والدك لم يلبس خاتماً في حياته). دقَّ قلبي بسرعة غيضاً من كلام المصور، وهتفت في وجهه (انت تكذب... انت تغار وتحقد على الأبطال لأنك مصور هرم تعيش بين الأتربة). رَبَّتَ المصورُ على كتفي وقال (تعال هنا). دخلت إلى مخزنه القديم وظل المصور يبحث بين الأغراض، يبحث ويبحث وأنا أسترجع كل لحظة وكل كلمة قد مرت علي لساني وفكري طوال السنوات الماضية. حتى هتف المصور (ها هي..). ثم اقبل نحوي ووضع في كفي صورة عتيقة، وأشار بأصبعه قائلاً (هذا أنا). ظهر فيها المصور شاباً يجلس على كرسي بباب محله، حاملاً كاميرا قديمة، ويجلس إلى جنبه على الأرض رجلٌ معاقٌ بلا ذراعين، ذو ملابس بائسة رثة... كانت ملامح الرجل المعاق، شبيهة بملامح الرجل الواقف وراء أمي في صورة الزفاف.

# تواطؤ

إنه كائن ليلي يظهر مع الخفافيش والبومات، يسكن في شقة في إحدى عمارات المدينة. نوبة عمله وتبضّعه وزياراته وخروجه كلها في الليل.كان يكره النهار والشمس وحركة الناس في الأظهار. لديه فوبيا من نوع آخر، فوبيا الشمس، فمنذ طفولته لم يجرؤ على الخروج ومواجهة نورها، كان يبكي ويضج بالعويل، إذا رأى الشمس مشرقة، أو تسلل ضياؤها من نافذة المنزل القديم. دفع هذا بالأسرة إلى تكميم أفواه النوافذ في غرفته، وعيشه في غرفة مظلمة وحيداً، حتى كَبُر واشتد ساعده. لم يستطع كسر مخاوفه طوال تلك الفترة، فتأقلم مع العيش ليلاً، وصار عمله وحياته كلها مصممة على مقاس الظلمة. حتى حدث الشيء الذي لفَّ على عنقه حبلاً من الكآبة. في تلك الليلة، حين عاد من عمله يحث الخطى صوب المنزل، اخذته ساقاه إلى شارع يطلُّ على النهر، وصل إلى تلك البقعة حيث التمعت أضواء مصابيح الأعمدة، وقد عُكِست على النهر بحركة متموجة.وقف هناك يطالع النهر بصمت، مركزاً بتلك الحركة، متمنياً رؤية الماء بشكل أوضح، كان يسمع كلام الناس عن النهر، كيف يبتهجون ويمرحون قرب جرفه، وكيف يتسابق السباحون في عبوره. لم تسنح له الفرصة لتعلم السباحة، وكان يقول في نفسه، السبب في عدم مجيئي إلى هذا المكان نهاراً، لكان المنظر أوضح  بالطبع، للتمتع بالمنظر أو الصيد أو تعلم السباحة. كان سواد الظلمة يصبغ الفضاء والمكان حوله، فلم يستطع تمييز الماء والجرفين والأشجار على الضفتين. ثم أنه عاد إلى شقته بسرعة، حين دقت ساعته فاضحة وقت

قدوم الفجر، وعودة الشمس وضيائها. لقد كان يقول في نفسه، ما الفرق بيني وبين مصاصي الدماء في أفلام الرعب، فكلانا يخاف نور الشمس، صحيح أنهم يخافون الشمس لأنها تحرقهم وتشوي أجسادهم، ولكنني أخافها لأنني أعتقد أنها ستشوي نفسي. لهذا قرر في نفسه بعد مراجعة وحديث طويل معها، أن يضع حداً لهذا الخوف الغير مبرر، وأن يثبت لنفسه على الأقل أنه مازال قوياً، ويملك سلطة القرار وأن الفوبيا الخانسة في قلبه لن تنتصر عليه. كل الناس يخرجون نهاراً ويرون الشمس ولا يخشونها، فلماذا عليَّ الخوف منها مادامت تلك المخاوف مجرد تفاهة ووهم في عقلي فقط. هكذا صمم في داخله على مواجهة مرضه، وأنه سيثبت للعالم أنه ليس مرضاً مزمناً فيه، وأنه سيتفوق على نفسه ويفوز.. في اليوم التالي اعلنت الشمس عن قدومها، من خلال رسائل ضوئية دخلت عبر ثقوب صغيرة جداً،منتشرة في فضاء صالة الشقة. خرج من غرفته المظلمة بكل هدوء، صار ينظر حوله إلى صالة الشقة، كانت عتيمة بشكل محكم لولا تسلل تلك الأنوار الرفيعة كخيوط. لم يجرؤ على الخروج في بادئ الأمر، حتى مضى على شروق الشمس وقت طويل، مفكراً في التنازل عن فكرته وتحقيقها. لكنه قرر من جديد الخروج قبل انتهاء النهار في ذلك اليوم. خرج من غرفته بكامل أناقته، وكأنه يريد الذهاب إلى حفل عرسه المؤجل. كفا يديه كانا ممتلئين بالعرق، وجبهته أيضاً كانت تتعرق بغزارة، وكان النبض في صدره قوياً، يدق في أسفل الصدر ثم يصعد إلى البلعوم. أخذ نفساً عميقاً وزفره، ثم دنا من باب الشقة متوجهاً لمقابلة الشمس للمرة الاولى. أراد معرفة سبب خروجه، ارهقه التفكير وهو يفتش عن سبب الخروج وملاقاة العالم نهاراً، هل كان بالفعل شوقه لرؤية النهر بشكل أوضح؟!. في النهاية حسم أمره وفتح الباب، خرج من الشقة، عبر الممر الواصل بين شقتين ثم الدرج. قبل أن يخرج من باب العمارة، نظر إلى أشعة الشمس التي كانت مستلقية على الشارع.أراد إغماض عينيه عند

خروجه، لقد كانت فكرة جيدة،اغمض عينيه ثم خرج من باب العمارة، مشى بضع خطوات وهو مغمض العينين، كان الفضاء برتقالياً يميل إلى الحمرة، ثم تحول إلى ذهبي مائل إلى الصفرة، حين بدأ يفتح جفنيه ببطء. لاحظ أن العالم حوله يتحرك بحرية وانسيابية، وأن قلبه الذي كان يدق بشدة، خفتت ضرباته، وتنفسه عاد إلى طبيعته، مع شيء من الهدوء والاطمئنان. أراد الهتاف بأعلى صوته، لقد خرجت، بعد كل هذه السنوات قد خرجت من المنزل نهاراً، ولم اعد خائفاً من الشمس وضوئها، أراد الضحك بأعلى صوته، والهتاف والرقص والسلام على كل شخص لم يكن بإمكانه رؤيته نهاراً. ثم أن مشيته اعتدلت وصار يطالع المحلات والشوارع والأبنية، لكنه توقف فجأة... عاد قلبه إلى النبض بسرعة، تلعثم، انتبه إلى شيء سار وراءه ثم وقف. أدار رأسه ليجد ظله، لقد كان ظله مربوطاً بقدميه، رفع ذراعه فارتفع ظل ذراعه، تحرك يميناً وشمالاً فكان الظل ينفذ أوامره الحركية، متوافقاً مع زمن الحركة. مشى ببطء إلى الخلف بشكل معاكس، رأى الظل يسير نحوه،أدار جسمه وركض، ركض الظل وراءه، كانت المدينة كلها مضيئة، وكان نور الشمس يسيطر على كل مكان. هرول بكل قوته، التفت الناس إلى حركته تلك، صاروا يومئون نحوه، مع أصوات تنبهه، احذر يا هذا أمامك بالوعة... احذر وراءك سيارة.. وهو يهرول بكل قوته، محاولاً التخلص من ذلك الظل الذي خيَّطه الضوء بقدميه، حتى وصل إلى النهر، لم تكن الفرصة لطيفة لكي يستمتع بالنهر وهذا الظل يطارده في الطرقات.لم يعد أمامه سوى الوقوف عند ضفة النهر، المساحة حوله كبيرة ولا مكان يأويه. أعياه اللهاث محدقاً في هذا الشبح الأسود الذي يطارده. رفع يديه في الفضاء، اشار بيديه صوب الظل، كأنه يتقي وثبة حيوان مفترس. لم ينتبه إلى حافة الجرف خلفه، سقط في النهر، صرخ الرجل بكل صوته أثناء سقوطه، ثم ظل يصارع الأمواج منتظراً من ينتشله من الماء،لكن كتفيه وخدرهما، وثقل بدلته وحذائه، ومعدته التي امتلأت بالماء، لم يمنحوا الرجل

فرصة نجاة، خرج رأسه مرتين ثم غطَّ بالمرة الثالثة. عادت أمواج النهر وحركتها إلى وضعها الطبيعي، والظل مازال ملتصقاً بالضفة، يطالع بصمت تفاصيل غرق صاحبه في النهر، ثم تآكل  الظل رويداً رويداً، لقد كان لونه الأسود يختفي بالتدريج مع غياب قرص الشمس.

# الطَّريق

يا لها من سيقان قوية تلك التي تحملُ الدليلَ!!. إنه يسيرُ ولم ينل منه التعبُ يوماً، منتشياً خلال سيره، موضحاً ملامح كل منطقة نمرُّ خلالها. أما أنا فحالي لم يكن بخير، لأن ساقيَّ بدتا كقصبتين من شدة الضعف. لقد وهنتُ جداً وصار لزوماً أن أستريح قليلاً، لهذا قررت الجلوس لكي ألملم أنفاسي. صحيح أن حالي كان أفضل من حال الباقين، حيث تركنا جزءاً منهم وراءنا، وظل جزء آخر يناضل من أجل إكمال الطريق. في أحيان كثيرة وأنا أسير خلف الدليل، تداهمني فكرةُ أنني تورطت في المسير خلف هذا الشخص، لعله غير متأكد من وجهته أو الطرق والتفرعات الكثيرة التي مررنا بها؟!. لكن ما يبدد الشكَ في قلبي هو كلامُ الناس ومدحهم واعجابهم به، لقد سمعت الكثير عن حنكته ودهائه ومعرفته بمسالك الطرق. وإلا لِمَ تبعه كل هذا الجمع الهائل من الناس؟!.لقد كان جمعنا السائر متنوعاً، عوائل، شيوخ وعجائز، رجال ونساء، أطفال يهرولون أمامنا، لم أكن أعرف لهؤلاء الأطفال عائلة، لقد كانوا يسيرون بنشاط وفضول بريء، كان الأطفال أول من يسمع من الدليل كلامه، لأنهم ملتصقون به على طول الوقت، وكانوا حين يسمعون منه كلمة، ينقلها من في الأمام إلى من غدر به التعب في الوراء. كان الدليل يهتف دائماً بعبارات لعينة كرهتها (لم يبق إلا القليل... وصلنا تقريباً... وراء هذه الجبال أو الجبال التي خلفها). وكنّا نسير... نسير ونخادع تعبنا تارة بالكلام الجانبي، وتارة بالذكريات لأنها المُسلي الوحيد أثناء السير في طريق كهذا. لقد فرحنا أكثر من مرة أثناء سيرنا، كاحتفالنا بزواج البعض، تزوج

الكثير من الرجال والنساء، بعد أن تعارفوا وهم يسيرون في الطريق معنا. وحزنّا أيضاً حين فقدنا البعض من الأصدقاء، لقد تخلفوا عن ركبناً السائر، حين قالوا (سنرتاح قليلاً ونلحق بكم)، لكنني لم أر واحداً منهم لاحقاً. في النهاية أنا كنت أراقب الأشياء حولي خوف أن يفوتني شيء هام، تارة أحث الخطى لكي أستمع إلى كلام الدليل، وتارة أسير على مهل فأكون آخر شخص في الموكب السائر. أما الأطفال فكانوا نشيطين جداً، لم يهتموا بتاتاً لطول الطريق، أما الكبار فكانوا يتعبون بسرعة، ويفكرون مثل تفكيري بالضبط، لأنني أمشي ولا أسأل كثيراً، بل لا أتكلم ولا أهتم لما حولي من شدة التعب. كأنني مريض مخدّر وجاهز لعملية كبرى. بعض الأطفال تركهم آباؤهم وحيدين في الركب، تخلّف بعض الآباء عنّا تعباً، حيث قرروا الجلوس لدقائق و أخذ القليل من الراحة، لكننا لم نرهم لاحقاً كما قلت. العجيب أن أطفالهم لم يكترثوا لغياب أهلهم، بل كانت إشارات الدليل وكلامه وشرحه يجذبهم بشكل ساحر. في الحقيقة أنا أكثر شخص ناضل، لكي يصل إلى تلك البقعة التي وصفها لنا الدليل. لم تعد الأيام تعنيني بمرورها، لقد تشابهت حتى اللحظات. صارت الخطوة التي أعبرها أختاً للخطوة التي ستأتي، تشابهت آلاف الخطوات التي قطعتها، وهذا الشيء صار يُسهّل عليَّ عدم التفكير بطول الطرق. كنت أفقد نفسي لتضيع في غابة كبيرة، غابة من التأمل العميق غوراً،لا أعرف بعد أن أصحو من غيبوبتي تلك، كم سرت وكم مضى من الوقت. حتى أتت اللحظة التي رأيتني فيها بلا شريك من عمري، لقد كان الأطفال وحدهم من يهرولون وراء الدليل وأنا. وحين رأيت الوضع كما يبدو، قررت أن أسبق الأطفال وأوقف الدليل بالقوة، يكفي ما حدث لي وما حدث لغيري، لقد سرت بما فيه الكفاية، ولم أعد أستطع المطاولة. هرولت وراءه بكل قوتي، كنت ألملم شتات عزيمتي وحين أصل إليه أجده قد ابتعد عني!. أحاول الإسراع أكثر ومسكه من ياقته، لكنه مع سرعته الثابتة يسبقني ويفلت من يدي!. جربت

الصراخ، صرخت بأعلى صوتي (توقف...) لكنه لم يكترث، كان يشرح للأطفال عن معالم الطريق وما يحيط به. (متى سنصل أيها الدليل..؟ قل لي وإلا فعلت بك ما لا ترضى) صرخت بصوت مبحوح من شدة اللهاث والتعب. لكنه لم يلتفت لي، بل حتى الأطفال لم يثرهم صوتي. تراخت خطواتي تدريجاً، ونظرت إليهم وهم يتقدمون إلى الامام بلا تعب، حاولت أن أقرر مصيري الآن، لم يعد بإمكاني الرجوع  فالطريق ورائي أطول لكي أعود وحدي. هجمت على عقلي الفكرة وحدثت نفسي (لعل الطريق انتهت وإذا لحقت به الآن سوف أصل؟!).لكنني مع دفقة الأمل هذه لم أستطع المسير، ساقاي لم تستطيعا الحركة، قلبي بدأ يخفت نبضه شيئاً فشيئاً. لهذا قررت الجلوس قليلاً لكي أرتاح، لم يكن بانتظاري سوى صخرة على جانب الطريق، صخرة رمادية اللون شاحبة. جلست عليها وأنا أنظر إلى المجموعة التي يقودها ذلك الدليل، كانت أصواتهم تضج بالأسئلة الطفولية المليئة بالفضول، وهو يشرح لهم تفاصيل الطريق وما يدور حولهم. كانوا فرحين نشيطين غير مكترثين، تتضاءل أصواتهم مع كل خطوة يبتعدون فيها عن مكاني، وكان كلما يسأله طفل عن موعد الوصول، يجيب الدليل (لم يبق إلا القليل... وصلنا تقريباً... وراء هذه الجبال أو الجبال التي خلفها).

# بائِعُ القَلَق

(لن أنام بعد اليوم...)

يحدِّث رب الأسرة نفسه وهو ينظر إلى المرآة. كانت عيناه غائرتين، ووجهه شاحب كوجه جندي عائد من معركة. تناديه الزوجة التي جهزت مائدة الفطور، يتبعها أولادها كما تتبع الشياه النعجة، تنادي مرة أخرى وتستغرب وقفة زوجها أمام المرآة. تجلس هي وأولادها منتظرة التحاق زوجها بالمائدة الصباحية.. ينظر الزوج طويلاً إلى أسرته، ثم يبدأ قلبه يخفق بشدة، ينزل الخفقان إلى أسفل سرته، تتعرّق جبهته، ويخرج الكلام من فمه متعثراً (حسناً أحبتي... سوف التحق بكم بعد قليل... أغسل وجهي أولاً). يغسل رب الأسرة وجهه، يحمل الماء بكفيه ويلقيه على بقايا الصابون العالق، تداهمه صورة من الحلم مجدداً،يصرخ... لم يكترث احد، لقد كانت صرخة عالية، هزت قلبه بشدة... لم ينتبه لها أحد من أهله.

(لن أنام مجدداً...) يعلن رب الأسرة هذا في نفسه، ثم يلعن تلك اللحظة التي رأى فيها (بائع القلق) راجعاً بذاكرته (ما الذي خدعني وجعلني أشتري منه تلك الوصفة اللعينة؟ لقد كنت أعيش حياتي سالماً من دون رعب!! ماذا سأفعل لو استمرت الكوابيس في هجماتها الليلية على قلبي؟!. اللعين قال أن القلق الذي بحوزته هو قلق مفيد، قلق على مستقبل الأسرة، الأولاد، الزوجة، العلاقات العامة، الوظيفة، لقد اقسم لي أنه يبيع القلق المفيد الذي يحتاجه

أغلب الناس، لقد كنت بحاجة إلى مثل هذا القلق، كنت بحاجة إلى أن أهرول صباحاً، بكل نشاط صوب متطلبات يومية يقلق أي إنسان حين لا تتحقق بشكل جيد. لكن الأمر تطور... صارت الكوابيس التي أراها كل ليلة كمسامير مغروسة في جمجمتي. ماذا أفسر فزعي مبللاً بعرق غزير، وصدري الذي يضرب ضربات قوية، حتى كأن قلبي يريد مغادرة القفص الصدري كطفل مرعوب. صرت أرى المدينة بالكامل يتساقط سكّانها، كابوس أرى فيه جارنا الطيب الوديع،وقد تشوه وجهه،عيناه تسيلان دماً،وبقايا من اللحم المهروس تتساقط من بدنه، كان الجار يسير ويتمايل ولا يستطيع الوقوف، ويخرج من حنجرته صوت غريب، كصوت حيوان مفترس.. في كابوس آخر كان الموظفون في دائرتي الوظيفية مشوهين، كانوا كقطيع زومبي جائع يبحث عن فريسة، وكنتُ أنا فريستهم التي هرولوا وراءها، يطلقون أصواتاً مرعبة.. حلم آخر وآخر و آخر، حتى رأيتُ آخر كابوس في هذا الصباح، كانت زوجتي مشوهة الوجه، وعينها اليمنى مفقوعة تسيل دماً، ويداها ملوثتان. أولادي الصغار كانوا يتمايلون في المنزل، يصرخون بصوت مبحوح وهم مشوهون بالكامل، زومبيون، يتجهون دفعة واحدة صوب والدهم، يمسكونه من ركبتيه ثم يسقطونه على الأرض، ويبدؤون بقضم لحم فخذيه، ثم ينتقلون إلى بطنه، تكتفي الزوجة بشق صدري ثم تخرج كبدي وقلبي وأجزاء من رئتي. تستمر العائلة بأكل ربها حتى تشبع.. اللعنة عليك يا بائع القلق... سوف أعود إليه مجدداً لأرى حلاً لحالتي هذه. من الصعب إكمال حياتي بهذه الطريقة، فإما أن لا أنام وألتذ بطعم النعاس والكسل، وإما الشفاء من نوبة الفزع هذه. بالتأكيد أن الجرعة التي وصفها لي كانت مضاعفة، أو لعل القلق الذي باعني إياه كان مغشوشاً، لهذا سأعود إليه وأنهي هذه المحنة). يعود رب الأسرة لبائع القلق في إحدى أزقة المدينة القديمة، يضع كفه على أنفه خشية أن تقتحم عفونة المكان أنفه. مترنحاً فوق صف ضيق من الأحجار المرصوفة في ماء خائس.

يستدل على بيته من نقطة مميزة. ينقر على الباب متلفتاً خوف أن يلاحظه أحد. يفتح بائع القلق الباب مرحباً بضيفه، ثم يدخل رب الأسرة في صمت. (أريد دواء آخر... أريد إزالة مفعول القلق الذي حشوته في عقلي، لا أريد قلقك) يقول رب الأسرة بصوت ليّن متهدج. يهزُّ بائع القلق رأسه موافقاً، ويقول بصوت مبحوح:

(لعلك تريد ترياقاً ضد القلق هذه المرة؟).

يهز رب الأسرة رأسه ويهتف بصوت أقوى: (نعم... نعم).

يدخل بائع القلق إلى غرفة، يغيب دقائق ثم يأتي بزجاجة قائلاً:

(عجيب أمرك..! أنت الوحيد الذي شكا من القلق الذي أبيعه... على أية حال هذا الترياق، ستشعر معه بالتحسن). يأخذ رب الأسرة الدواء، ثم يهرول إلى المنزل، يشربه دفعة واحدة. يتوجه هذه المرة إلى النوم، لكي يجرب مفعول الدواء الجديد، ويرى إن كان كلام البائع حقيقاً أم كذباً، وهل ستختفي تلك الكوابيس من عقله ويخلد بهدوء؟. وبالفعل حين نام رب الأسرة رأى أحلاماً كأنه في جنة، لقد كان العالم ساحراً و يملأه الألق. الناس في الحلم يسيرون كأنهم ملائكة، والمدينة تزينها الأضواء والازهار والموسيقى. حتى أن زوجته وأولاده كانوا يطيرون في الجو كحمامات، يطلبون منه الطيران مثلهم. لقد نبت على ظهره جناحان أيضاً وصار يطير معهم محلقاً، يدور ويدور في السماء بلا تعب وخوف. في اليوم التالي ينهض رب الأسرة من نومه، يتمطّى على فراشه رافعاً يديه للأعلى، ثم ينهض مرتاحاً كأن جبلاً على ظهره قد زال. يضحك ضحكة مدوية ويذهب إلى الحمام لكي يغسل بقايا النعاس العالق بوجهه. يرتدي ملابسه، يتناول فطوره، يحمل حقيبته ويقرر الخروج إلى عمله. يخرج من المنزل مرسومة على وجهه ابتسامة، وهو يتذكر الحلم وأجواءه الساحرة العالقة في ذهنه. وجهه باسم على عكس قُطْعان البشر التي تملأ الشوارع، كانت عيونهم غائرة، ووجوههم شاحبة كوجوه جنود عائدين من معركة.

# صَداقة

(شفيف) رجلٌ مُبتلى بلسانه، يعترف بهذا دائماً. بمناسبة أو من دونها، وكأنه يحذر كل شخص يصادفه، يروي قصصاً عن لسانه بداية بالقصة المشهورة التي يقول فيها، أنه حين كان طفلاً يخرج إلى السوق مع أبيه، و حين يريد أن يعبر الشارع يمسكه أبوه من لسانه، كي لا يفلت منه وتدهسه سيارة مسرعة.. يقول شفيف (إنه يخاف عليَّ من أن أتيه في السوق الكبير. فكلما سألت أبي عن سبب مسكه للساني، ولماذا لا يفعل كما يفعل الآباء مع ابنائهم، فهم يمسكون أطفالهم من أكفِّهم، يجيبني أبي أن لساني هو الشيء الأقوى في جسدي). في المنزل يتعلم شفيف على يد أمه القراءة والحساب والعلوم، لقد وضعت له سبورة صغيرة، وصارت امه تمسك بلسانه، تؤشر به على السبورة تارة، وتارة أخرى تستعين به على ضرب الذباب، ثم تلفه وتضعه في فم ابنها إن لم تكن محتاجة له. وحين يشتهي ملء فراغه يحكي لوالدته عن المدرسة، عن معلمه الذي يضربه على لسانه عقاباً إن أخطأ، وعن أصدقائه الذين يمسكون لسانه المتدلي، فيقع شفيف على الأرض فيضحكون..

بعد سنوات كَبُرَ شفيف و صار رجلاً، لكنه لم يستطع السيطرة على لسانه. مازال يذكر كيف سقطت فتاة على الأرض، سحقت لسانه حين كانت تمشي وراءه. لقد كان لسانه يسحل وهو لا يدري، فعثرت الفتاة على الأرض مع صيحة عالية، تجمهر الناس حول الفتاة ورفعوها، وظلوا يشتمون شفيف على فعلته، وامروه أن يضع لسانه في فمه حين يسير، كي لا تقع بنات الناس نتيجة التعثر

به.. ومرة أخرى عَلِق لسانه بزرٍّ سترة مديره، بعد أن دخل المدير إلى غرفة الموظفين، واجتمع بهم وألقى خطبة طويلة، غادر المدير ذو الكرش الكبير غرفة الموظفين، ساحلاً شفيف وراءه. وحين انتبه إلى لسان شفيف العالق بسترته، وبخه المدير وخصم من راتبه، ثم صدَّر به كتاب عقوبة تحت تهمة الاستهزاء بتوجيهات الإدارة..

الكثير من المشاكل مرت على شفيف. يشعر بالحزن والضعف حين لا يجيد السيطرة على لسانه. لهذا صار حذراً جداً من وقوع مشاكل إضافية. وشدد من مراقبته للسانه، في الجلوس والسير والحديث مع الأشخاص. في بعض الأحيان تقع مشاكل طفيفة، فيغضُّ النظر عنها، كحافلة سحقت لسانه قبل شهر إثناء عبوره الشارع، و زميل اقفل الباب على لسانه في العمل، و قطٌّ عظَّ لسانه ليلاً حين كان يمشي على الرصيف... وغيرها من الحوادث التي اعتبرها شفيف حوادث جانبية، ولن تؤثر على حياته إن التزم الصمت وغض النظر. حتى حدثت الشيء الذي غير حياته... مثل كل مرة عند غروب الشمس، يخرج شفيف لممارسة المشي بعد قلة المارة. مفتشاً عن الطرقات الخالية من أقدام الناس، وعجلات السيارات، وبلاليع المياه الآسنة. وصل إلى نهر المدينة المسافر عبر أرضها. جلس هناك ومدَّ لسانه على وجه النهر، الشيء الوحيد الذي كان يريحه، هو أن النهر لا يمانع أن يغطس فيه ذلك اللسان، مستمتعاً شفيف ببرودة الماء وصفائه. لكن النهر في تلك اللحظة كان يحمل لشفيف مفاجأة، طفلة كانت تماطل الأمواج بحثاً عن منقذ ينقذها من الغرق. وقف شفيف مذهولاً، حاول الاستنجاد بالناس لكنه لم يعثر على أحد، وقد كانت اللحظات سريعة، فإما أن ينقذها وإما الانتظار وطلب النجدة، وإلى ذلك الحين ستكون الطفلة لقمة سهلة في فم النهر. لم يجد شفيف سوى لسانه، رمى به صوب الطفلة، فلم تفلح المحاولة الاولى، رمى به مجدداً فعلق بالطفلة و جرَّها على مهل. لقد كانت الأمواج قوية تصارعَ شفيفُ

معها بكل قوته، وهو ينظر إلى الطفلة التي بدت فاقدة للوعي. ظل يسحب بهدوء حتى وصلت إلى الجرف، ثم انتشلها و وضعها جانباً وضغط على صدرها. تقيأت الطفلة ماء ملوثاً بالوحل، وظلت تنظر بعينين جامدتين بشكل مستقيم. سألها شفيف:

ـ من أنت..؟ أين أهلك؟

أخذت الطفلة شهيقاً قوياً ثم قالت:

ـ أنا.. بلا أهل

سألها شفيف:

ـ وكيف سقطت في النهر؟

ردت الطفلة وكان ردها مصحوباً بزخة دموع:

ـ لقد سقطت في النهر... أنا مصابة بالعمى... لم أنتبه وزلقت ساقي وسقطت

تأسف شفيف عليها ثم اخبرها أن لا تهتم، فهي الآن بمأمن حين نجت من الغرق. ثم تساءلت الطفلة:

ـ هل ستتركني..؟

صمت طويلاً وهو ينظر إلى وجهها، وإلى أشعة القمر التي فضحت ما به من بياض صاف. تخوّف شفيف من قرار مرافقتها له، فباغتته الطفلة قبل أن ينطق حرفاً:

ـ هل تأخذني معك..؟أرجوك ساعدني

انهضها وصعدا إلى الشارع الطويل ذي الأضواء الساطعة. كان الشارع خالياً من البشر. اخبرها أنه موافق على صحبتها له. فرحت الطفلة وقالت وهي تمسح ما تبقى من دموع.

ـ إذن لنذهب إلى المنزل

أراد شفيف مدَّ يده إليها لكي يرشدها إلى الطريق، لكنها سبقته وتلمَّست جانب جسده حتى وصلت إلى لسانه، ثم أمسكت بطرف اللسان بقوة وقالت(هيا بنا). لم يعترض شفيف على مسكها للسانه، بل ابتهج وسارا جنباً إلى جنب إلى المنزل.

# عودةُ سانتا كلوز

اقتربت الليلة التي تخشاها عوائل المدينة، هرع الجميع إلى المنازل بوجوه شاحبة وأكف مرتجفة. الريح الشتوية تصفع وجوه المنازل، والشوارع شبه خالية، ولم أر مظهراً واحداً من مظاهر الاحتفال. هذا حال الآباء منذ إن اقترب موعد ليلة رأس السنة، في هذا العام وفي الأعوام التي مضت.. كنّا قديماً نحلم بزيارة (سانتا كلوز)، الرجل الطيب ذو الملابس الحمر، واللحية البيضاء والوجه البشوش. نحلم حين كنّا صغاراً أن نجلس صباحاً، ونرى الهدايا التي تركها لنا، هدايا جميلة تمنحنا السرور والبهجة. لكنه في ليلة رأس السنة من كل عام، صار يتسلل عبر النوافذ والمداخن، يضع جثثاً لقتلى مجهولين، عند رؤوس الأطفال النائمين، ثم يغادر بهدوء. فيجلس الآباء صباحاً على صراخ الأطفال، مفزوعين من منظر الجثث التي يصبغها الدم. إنه شيء عجيب يفعله سانتا كلوز مع أطفال المدنية!،حتى أن البعض قد شكك في أن يكون سانتا كلوز من يفعل هذا، وقالوا(لعل قاتلاً مجهولاً يريد زرع الرعب في قلوب أطفالنا، نحن لا نصدق أن يكون سانتا كلوز، حبيب الأطفال ومانح البسمة هو الفاعل). ومع مرور الوقت تعودوا على هذا الشيء، صحيح أن الفزع يغزو قلوبهم في هذه الليلة، ولكنهم صاروا ينسون كل تفاصيلها مع مرور الزمن، ثم يعود الخوف إلى قلوبهم مرة أخرى، مع عودة ذكرى عيد رأس السنة. حين تمر الليلة كل عام، أرى الآباء يتحدثون بينهم عن الهلع الذي اصابهم، يسرد كل واحد منهم للآخر، عن تفاصيل الجثة التي وجدها في منزله، واحد يصف الجثة أنها رُمَيت بالرصاص، وواحد

يقول أنها محترقة بالكامل أو أنها مبتورة الساق، وآخر يقول أنها مقطوعة الرأس. ولما رأيت ما حدث ويحدث كل سنة، قررت عدم الزواج والتورط في انجاب إطفال،لأنني صراحة أخاف النظر إلى شكل جثة،فكيف بي إذا جلست صباحاً على صوت طفلي، وهو مفزوع من إحداهن وقد رُمِيت إلى جواره!. لهذا في كل ليلة رأس سنة، أحتفل وحدي في منزلي، بعد شراء زجاجة من الخمر، وترتيب المأكولات،ولم ينقصني سوى عشيقة جميلة. لم يزعجني في الحقيقة غير صراخ الأطفال، اطفال الجيران عند الصباح، حين يتم اكتشاف تلك الجثث اللعينة، الهدايا التي يخشى الآباء على أطفالهم منها. لم أكترث فهي مسألة وقت فقط، ولولا فضولي اللعين القاتل، الذي اغراني إلى اكتشاف حقيقة من يرمي تلك الجثث، لما سهرت في هذه الليلة، أخرج إلى السطح وأدخل، منتظراً حضور من يوزع الجثث على المنازل في جوف الليلة الباردة. لم أصدق ما رأته عيناي، حين لمحته يسير في الفضاء، في مركبة سوداء ذات عجلات مسننة، ومدافع نارية مغروزة في جوانبها. لم أر الوعول التي تجر العربة، تلك العربة نتخيلها وهي مليئة بالهدايا!. دلكت عيني بشدة وأنا أطالعه مرتجفاً، كيف يدخل إلى المنازل، ثم يخرج هذه المرة وعلى كتفه جثة. كانت عربته فارغة، ولم يسحب منها أي هدية من تلك الهدايا المخيفة، بل كرر هذا الشيء مع المنازل كلها، في كل مرة يدخل ويخرج حاملاً جثة نظيفة. هرعت إلى جوف المنزل،كأن حيواناً مفترساً ركض ورائي. ثم رشفت قليلاً من الكأس، وصورة المشهد تظهر أمامي وتغيب. هجم على عقلي قطيع من الأسئلة (تُرى من الذي حملهم سانتا كلوز إلى عربته؟).خطرت في بالي فكرة أن أغلق الأضواء وأنام، سأتخلى عن فكرة الاحتفال لهذه الليلة. وبالفعل اقفلت الأضواء وخنست في السرير تحت اللحاف. عرفت في الحين أنني لن أنجو، لقد كان صوت النافذة وهي تُفتَح يضرب أذني. وقفت والعرق يتصبب مني كأنني مصاب بالحمى. وكادت عيناي تخرجان من

محجريهما، حين رأيت سانتا كلوز يجول في تفاصيل المنزل، يفتش عن شيء ضائع في الزوايا. ثم توجه إلى غرفتي، فقفزت من وراء الباب لكي ألبد في مكان آمن. دخل إلى الغرفة ثم هتف (لقد رأيتك.. اخرج). توسلت إليه أن لا يؤذيني،ثم أنني اخبرته وأنا مبتسم(لا يوجد لدي أطفال..بإمكانك التخلي عن الفكرة واخذ هديتك مصحوباً بالسلامة). لم ترق العبارة له، لأنه ظل يطالعني بعينين جامدتين،لم يكن مرتدياً لزيه التقليدي الأحمر، إنه يرتدي ملابس خشنة غامقة، و(بسطال) كبيراً يضرب به الأرض بقوة، ويضحك بطريقة لم أرتح لها. اقترب مني ثم ضربني على ظهري، لم أستطع مقاومته، حملني كأنني وسادة على كتفه، ثم خرج إلى السطح حيث عربته الحديدية الكئيبة. رمى بجسدي بين مجموعة الجثث التي جمعها من منازل المدينة، لقد كانوا الآباء ذاتهم، كانوا أحياء متراكمين وصامتين في الوقت نفسه، ولم يستطيعوا جميعهم رفض تلك الرحلة المجهولة. كانوا مشلولين، مخدرين، مستسلمين لأوامر صاحب العربة. ولم يتساءل سواي (إلى أين سيأخذنا؟).فلم يجبني سوى سانتا كلوز هاتفاً (إلى مدينة مجاورة... إنهم ينتظرون بلهفة... لن نتأخر عنهم أكثر فالليلة على وشك أن تنتهي) ثم ملأ الفضاء بضحكة صاخبة، واقلعت المركبة.

# جزيرةُ المودَّة

قالت الزوجة:

ـ لقد أضعت الوجهة الصحيحة

ردَّ الزوج:

ـ اسكتي قليلاً حتى أنهي تفريغ القارب من المياه المتطفلة

ثم انهمك في تفريغ المياه بدلو صغير، نظرت الزوجة إليه وهتفت (غبي). ردَّ الزوج من دون ان ينظر إليها(حقيرة). جلست الزوجة على طرف القارب، تنظر في كلِّ الاتجاهات حولها، البحر ممتد بلا نهاية، وخط الأفق صار رفيعاً جداً يفصل بين سماء وماء فقط. أنهى الزوج تفريغ القارب من المياه، ثم قال بصوت عال:

ـ في المرة المقبلة ستفرغين مياه الأمواج التي تسقط في القارب..مفهوم؟

لم ترد الزوجة.. كرر الزوج جملته، نظرت الزوجة إلى عينيه وقالت:

ـ لم يتحتم عليَّ تفريغ المياه؟ ألست الرجل هنا؟

اجابها الزوج بسرعة:

ـ نحن شريكان،أليس كذلك؟هذا ما تنطقين به دائماً

جلس الزوج على الطرف الآخر، ثم أخرج من جيبه خارطة. نظرت الزوجة اليه ثم نطقت بجملة كأنها صراخ:

ـ اعطني الخارطة.. لقد سرت بنا مدة طويلة ولم نصل إلى تلك الجزيرة اللعينة... اعطني الخارطة

ـ مستحيل... لن تأخذي الخارطة مني

ـ لماذا..؟

ـ لأنني الرجل..والحكمة تقول أن قيادة هذا القارب تكون تحت أمرتي

ضحكت الزوجة بصوت مرتفع، مما جعلت الزوج ينظر إليها وقد زمَّ شفتيه ثم سمع منها كلمات:

ـ رجل... رجل.. أنا أكثر حكمة منك وذكاء.. على أقل تقدير أنا أشتغل على حدسي في المصاعب الجسيمة. ثم أنك سرت بنا وقتاً طويلاً ومسافة شاسعة ولم نصل إلى الجزيرة التي ترشدنا اليها الخارطة،فدعني أجرب قيادة القارب الآن

ـ مستحيل... أقلب القارب الآن ونصير طعاماً تافهاً لأسماك البحر ولا أعطيك الخارطة

قالت الزوجة مرة أخرى: (غبي)

رد الزوج: (حقيرة)

سكتا مدة من الزمن، ثم صار كل واحد منهما ينظر في اتجاه، ينظران عبر البحر إلى أبعد نقطة في خط الأفق. ثم سمع الزوج بكاء الزوجة، كانت تبكي بحرارة ودموعها تنزل بلا حد، قال وعيناه تنظران عبر البحر:

ـ عاطفية ماكرة.

شهقت الزوجة وردت عليه:

ـ لم لا تقول جائعة... لقد مرت أيام ونحن لم نأكل شيئاً

التفت اليها الزوج وضحك قائلاً:

ـ وهذا البكاء بسبب الجوع؟ يا لك من ضعيفة!!

ـ وأنت ظالم متغطرس متباه

عادا إلى الصمت مرة أخرى. تكلم الزوج وكان العرق بادياً على وجهه:

ـ لست يائساً بالرغم من عطشي وجوعي وتعبي

(كاذب) ردت الزوجة وحين رأته ينظر إليها بحدة،باغتته قبل أن يتكلم:

ـ أنت قوي ولم تؤثر الرحلة بكَ... أنت لم تتعب،وتضاجعني حتى وأنت جائع، أنت لا تشبع حتى من جوعك

(عاهرة..) قال

(قوّاد..) ردَّتْ

غضب الزوج وهتف صارخاً:

ـ أنت التي وافقت على المجيء معي، لقد راقت الفكرة لكِ واستقرت في رأسك، ودفعتيني دفعاً صوب الرحلة

كان القارب يماطل الموج العالي فتشبثا جيداً، الزوج ينظر إلى الأمواج التي تسقط في بطن القارب، الزوجة تجاهلت الحركة القوية للقارب وقالت:

ـ لقد خدعتني... قلت لي إنها رحلة صوب جزيرة جميلة، جزيرة أحلى من الجنة، نعيش هانئين لا تعكر صفو أيامنا الأحزان، أتذكر حين اشتريت الخارطة من أحدهم، لا علم لي بمن خدعك وباعك الخارطة، ولكنك كنت مقتنعاً واقنعتني بتلك الجزيرة التي لا وجود لها. أين نحن الآن؟ نحن تائهان في عرض البحر نبحث عن شيء خرافي يدعى جزيرة المودة، وما زلت مقتنعاً إلى هذه اللحظة أيها العنيد

ـ إنها ضريبة الشراكة... أليس هذا ما تطلبين؟

ـ بل هي ضريبة القدر والحظ التعيس

شعرا بالتعب الشديد وغزا الوهن عظامهما، ولم يعدا قادريْن على مواصلة الكلام. الألم ينخر في عضلاتهما وعظامهما وقلبيهما. الامواج ترمي بمائها في بطن القارب، نظر الزوج إلى الزوجة متوقعاً أن تقوم من مكانها وتساعد في إفراغ القارب من الماء، لكنها ظلت جالسة، خائرة القوى وقد بان على وجهها صفرة شديدة. استعان الزوج بفتات من قوته، ونهض من جديد ليفرغ ما سقط من ماء البحر. في تلك اللحظة سمعا أصواتاً، إنها أصوات نوارس. حدّقا في اتجاه الصوت متلهفين، النوارس دليل على وجود الأرض، وصارا يفتشان عن مصدر الصوت حتى لمحا من بعيد، إنها جزيرة يغلفها الضباب ينظران بوضوح إلى شكل الشجر المرصوف فيها، وإلى تضاريس عالية من تلال. ضحك الزوج ضحكة خافتة متعبة، ثم نهضت الزوجة من مكانها متكئة على كتف الزوج، وبدأ الاثنان بالعمل، الزوج يفرغ حوض القارب من الماء، والزوجة امسكت بالمجداف وصارت تجدف صوب الجزيرة. يفكران في الراحة التي سوف يقضيانها هناك، مع وجبة طعام وشراب تنقذهما من عضات الألم. حين وصل القارب إلى المياه الضحلة، نزلا منه و سارا بساقين هرمتين صوب الأرض، كانا بحاجة إلى أرض صلبة متوازنة يمددان جسديهما عليها. لكنهما صُدِما بمنظر الساحل في تلك الجزيرة.. لقد كان الساحل مملوءاً بقوارب عديدة، وهياكل عظمية منبطحة على الساحل!!. كانت الامواج تغسلها عند صعودها ونزولها.

# الحديقةُ السّرية

شهر مضى على عملي في الحديقة، لم يكن العمل شاقاً، كنتُ أراقب الأقفاص التي يوضع فيها الزبائن، ومساحة خضراء وبحيرة صغيرة. أهم ما في عملي أنه كان سرياً، هذا ما أوصاني به مالك الحديقة حين باشرت العمل (المحافظة على أسرار زبائننا أهم ما يميز عملنا هنا، ومن دون هذه السرية ستفشل الحديقة ولن يدخل إليها أحد). هذه النصيحة كان مالك الحديقة يلقيها في أذني، في كل مرة نغادر فيها مكان العمل. لهذا كنت كتوماً ولم أفصح عن طبيعة عملي، مع أنه كان عملاً بسيطاً كما قلتُ، فهو يقتصر على المراقبة، وتحديد وقت الدخول والخروج، وإدامة المكان وتنظيفه، وإبلاغ المالك عن أي شيء غير مرغوب به. لكنني أثناء عملي اكتشفت أشياء عجيبة!. لقد تعرفتُ على أشخاص معروفين خارج الحديقة، كانوا يتسللون إلى هذا المكان، ويدفعون السعر المطلوب لممارسة تلك الأفعال. كنت أجلس خلف شاشة المراقبة، وأقهقه حتى يسيل ريقي إلى صدري، ولم أتردد في جلب المكسرات لكي أستمتع بالعرض كل يوم. وكأنني أشاهد مسرحية كوميدية لا تُمل. مثلاً،الأقفاص تمتلئ برجال ونساء، يزأرون تارة، وتارة يقفزون ويصرخون ويصفقون، ثم يتمددون على أرضية كل قفص ويمرغون ظهورهم، ويحكون رؤوسهم بالأرض ثم يجلب لهم صاحب الحديقة طشوت مملوءة بالطين والتبن، يهرولون صوب الطشوت، يقفزون فيها ويمرغون وجوههم وأجسامهم بالطين، فرحين كأنهم في عرس. لقد كانوا يمارسون كل شيء حتى التزاوج.. وبعد انتهاء طقسهم هذا، يخرجون من الأقفاص، ثم يغسلون

أجسامهم في الحمامات، ويغادرون الحديقة وهم في كامل أناقتهم.. لقد عرفت بعضاً منهم، كان ضابط شرطة شرس تعرفه المدينة كلها من ضمنهم، وزوجة العمدة، وتاجر كبير يركب سيارة مظللة، وآخر موظف كبير في إحدى الدوائر... نعم لقد تعرفت عليهم مباشرة، ولكنني لم أتعرف على الآخرين الذين كانوا أكثر هيبة و وقاراً. هذا بالطبع بعد خروجهم من الحديقة، لأنهم داخل الحديقة يبدون مضحكين جداً.. أما المساحة الخضراء التي كانت في الحديقة، فتلك كانت في الهواء الطلق، يجتمع روّادها فيها ليصنعوا دائرة كبيرة، من يدخل الدائرة يتكالب عليه الآخرون ويضربوه بالأحذية، وكان المتجمعون يسمون هذا الطقس (حفلة الأحذية) لأن من يدخل الدائرة يشبع أحذية حتى أن بعضها يعلق في أفواه الزبائن، الغريب في الأمر أن من يدخل الدائرة يظل يضحك، مع كل تلك الكمية الهائلة من الضربات الموجعة. زيادة على هذا لقد كانت حفلة الأحذية غالية جداً، الدخول إليها يكلف الكثير، لهذا لم يكن يجرؤ على المشاركة فيها سوى الأثرياء جداً، وبعض الشخصيات الذين كنت أرى وجوههم في التلفاز. الغريب أنهم في تلك اللقاءات الرصينة يبدون متزنين جداً، ولكنهم في حفلة الأحذية يبدون كالأطفال، يتصارعون على الدخول إلى الدائرة والمنافسة في تحمل الضربات. في الحقيقة لم تكن تلك الحفلة ولا الأقفاص تثيرني كما تثيرني البحيرة، طقس البحيرة من نوع خاص، البحيرة سرير مائي لأجساد شتى، يتجمهرون رجالاً ونساء ويدخلون إلى البحيرة، وهم يرتدون جلودهم فقط. لقد كان روّاد البحيرة من أكثر الزبائن ارتداء للملابس، يملؤون أرض الحديقة بملابسهم الكثيرة، لعل تلك الملابس الثقيلة التي كانوا يرتدوها تثقل كاهلهم فيريدون التخلص من ثقلها في النزول إلى البحيرة؟!. لم أفهم حقيقة، لأنني كنت أرى النساء حين يدخلن إلى الحديقة، يرمين عباءاتهن وأحجبتهن وينزلن إلى البحيرة، عاريات يضحكن ويتبادلن قذف الماء على الوجوه. أما الرجال،فيركضون

متعثرين ببناطيلهم ودشاديشهم، ثم يقفزون صوب الماء لتمتلئ البحيرة بكومة من اللحم البشري، عشرات الأذرع والسيقان والرؤوس في مشهد أتسلى به وأنا أشاهده خلف شاشة المراقبة. ثم ينتهي طقسهم المائي، يخرجون من البحيرة الصغيرة، ينشفون أجسادهم ويرتدون ملابسهم الثقيلة المحتشمة، ويخرجون من الحديقة بسرية تامة.. في النهاية وحين ينتهي دوامي اليومي، أخرج إلى الأماكن التي كان يمارس فيها الزبائن طقوسهم، أجول بين الأقفاص لكي أنظفها من بقايا الطين وأغسل الأرضية مزيلاً عنها اللزوجة والأوساخ. ثم أذهب إلى العشب الأخضر لأرتبه و أسقيه وأنظفه وأساوي أعشابه. أفرغ ماء البحيرة وأملؤها ماء نظيفاً من حنفية قريبة. أنا حريص بشدة على تنظيف المكان على أفضل وجه، لكي لا يشمئز الزبائن ويستمرون في المجيء، وهذا واحد من أسباب احترام مالك الحديقة لي، لقد كان المالك معجباً بعملي وتفاني.. وحين أنتهي من عملي يقف ينتظرني عند باب الحديقة، ثم يضع طوقاً ذا سلسلة على رقبتي، ونعود إلى المنزل سوية، أسير أمامه مسروراً وهو يخاطبني خوف أن أنسى دائماً (أوصيك دائماً... المحافظة على أسرار زبائننا أهم ما يميز عملنا).

# اللِّص

إنه لصٌّ محترف، لم يستطع أحد كشف وجهه، ولا معرفة وصفاً لهيئته. بالرغم من كل التدابير في المدينة وتكثيف جولات التفتيش والمراقبة في أزقتها. لم يستطع رجال الأمن رؤية ظله حتى. بل لم يستطع السكّان التنبؤ بوقت ومكان قدومه. صحيح أن السكّان أغلبهم خائفون من سطو اللص هذا على منازلهم، ولكن بالرغم من خوفهم صاروا يحترمونه، بل إذا ذُكِر اللص في مجلس أو أي اجتماع للناس، نسمع عبارات الاعجاب في تفنّن اللص في سرقة أشياءهم الثمينة. وحين عرف اللص بفشلنا في كشف وجهه، أو التنبؤ بشخصيته والعثور على مكانه، صار يسرقنا في النّهار، سرق صاحب دكّان بقالة في شارعنا قبل شهر، وسرق زوجةَ مدير مدرسة جارتنا أيضاً. وحين تأكد هذا اللص من عجزنا في مطاردته صار أكثر صلافة، لقد صار يسرقنا بالجملة. قبل مدة حين كانت سيارة أجرة عائدة من مدينة محاذية، اكتشفوا أنهم قد سُرقوا جميعاً. في سوق المدينة الكبير، في زحمة التبضع والعمل، اكتشف عدد متفرق من الناس سرقتهم ثم تجمهرنا حولهم ورأيناهم متخشبين هلعاً على نفائسهم التي سرقها ذلك اللص.. لقد كان منظرهم مبكياً، من المؤسف أن يسرقك لص جبان يخاتلك وينتظر حين تغفو في سكينتك وغفلتك ليخطف منك شيئاً نفيساً ويهرب. ماهي السمات التي تظهر على وجهه بعد سرقة كل ضحية من ضحاياه؟ هل يضحك أو يكتفي بابتسامة صغيرة ماكرة؟. هل يتنفس مرتاحاً بعد كل عملية سرقة؟. أم تراه يحزن ويضجر من تأنيب ما تبقى من ضمير لديه؟!. لا أعتقد أن هذا اللص

صاحب ضمير، الضمير إحساس يعيش ويرتع في ذوات سليمة، وهذا اللص كائن غريب عجيب، لا يردعه أمن ولا نظام ولا خوف من سلطة أو مكانة للشخص المسروق.. لهذا قررتُ أن أتدبر أمري في هذه المحنة، ولن أكون كسكّان المدينة نائماً على أذني حتى يأتي اللص ويسرقني وأنا لا أدري. لقد وضعت في منزلي بضع كاميرات مراقبة حديثة، واتفقت مع شخص يجيد التوصيل بالأشعة لينصب لي فخاخ ليزرية في مداخل الأبواب، مربوطة بجهاز إنذار يصدر صوتاً عالياً. ولم أنس حشو مسدسي ووضعه تحت وسادتي كل ليلة، المسدس ذاته الذي تركه لي والدي، لقد كان هذا المسدس أرثاً عائلياً ثميناً، صحيح أن والدي لم يطلق منه طلقة واحدة، لكنه يظل شيئاً نفيساً لم نفرط به يوماً، وأعتقد أن وقت عازته قد حان.. أنا الآن في عزِّ يقظتي، أنتظر اللص العجيب خوف أن يأتي متخفياً... ولكن كيف يتخفى لص كهذا؟. هل يضع على وجهه لثاماً؟. لقد صار صلفاً جداً إلى درجة أنني أعتقد أنه يسرق بلا لثام. بل أنا أتوقع كما توقع البعض سيأتي يوم ما ويقف هذا اللص في وسط سوق المدينة ويصرخ بأعلى صوته (أنا اللص... أنا الذي أسرقكم كل يوم، وأتحدى قوياً منكم أن يمسك طرف ثوبي... جربوا إن استطعتم هذا). وبالفعل أنا اتوقع أن الشرطة والسكّان سيهربون منه، ويتجنبون ملاقاته وجهاً لوجه.. ما هذا..؟ هناك صوت غريب في صالة المنزل؟. لعله اللص؟! ماذا أفعل؟ هل أفاجئه بمسدسي أم أخنس في غرفتي؟. ولكن أين صوت الإنذار؟!. هل من المعقول تجاوز اللص المجسّات الليزرية عند مداخل الأبواب؟!. أين هيئته وجسمه؟. لم أر شيئاً في كاميرات المراقبة!!. سأنزل إلى الصالة وأرى..لا... سأنتظر هنا لأن كلَّ شيء نفيس أملكه موجود معي هنا في غرفتي، سأنتظره وأصوب مسدسي نحو الباب، ما إن يفتح الباب أطلق عليه طلقة أو أكثر لكي أرديه قتيلاً، وأكون أول من كشف هوية هذا اللعين.. هناك خدر عجيب يتسلل في أطرافي السفلى!. الخدر يصعد شيئاً فشيئاً نحو بطني

وصدر، يا للغرابة إنه يتوزع على أطراف العليا، لم اعد قادراً على مسك المسدس بشكل جيد، ولم تعد ساقاي قادرتين على حمل جسمي.. مقبض الباب يدور؟!. يا ألهي سيفتك بي اللص إن لم أقاومه دفاعاً عن ممتلكاتي. إنه يتقدم أمامي بحزم ووقار عجيب. مع كل محاولاتي للضغط على زناد المسدس وقتله، إلا أنني أفشل في كل مرة، ولن يصدقني أحد حين أعترف أن هذا اللص يجبر ضحاياه على احترامه!!. هل يتمتع اللصوص مثله بهذه الهيبة الكبيرة؟!. لماذا يشير إلى فمي..؟ هل لأن فمي هو الجزء الوحيد في جسمي القادر على الحركة؟. إنه يمسك بيد باردة الجزء الأسفل من وجهي ثم يلتقط شيئاً من فمي ويغادر من نافذة الغرفة..عجيب..!! لماذا إذن كل هذه الضجة مادام هذا اللص ينجز عمله بسهولة ولين. لم يفعل شيئاً سوى مسكي من وجهي والسلام. جميل أنه لم يسرق كدس المال والحاجيات الثمينة في دولابي. لقد غادر وتركني بلا حِراك ليتحول الخدر في جسمي إلى برد.. شعور بالنعاس... شهية إلى نوم عميق... عميق بلا قاااااااع.

# ساعةُ الطِّفل

انشغلت العقولُ بظاهرة اعتبرها الجميع غريبة، ظاهرة (الطفل الشيخ). منذ سبعين سنة يعيش طفل في المدينة، لم يكبر يوماً واحداً. ظل كما هو لدن الكفين، بوجه خال من التجاعيد وجسم طفولي نشط. يلعب طوال اليوم بلا تعب أو ملل. مات أبواه وأغلب أصدقائه الذين خالطوه.  لقد كبروا مع تراكم السنين وظل صديقهم كما هو. كانوا يحضرون إليه يزورونه، يحدثوه، يذكرهم بأيام طفولتهم، فيضحكون حين يسترجعون الذكريات مرها وحلوها، ويحزنون حين يفيقون من سكرة الذكريات، ثم يغادرون مكتئبين. تم عرض الطفل على كل الأخصائيين فلم يجدوا سبباً مقنعاً لبقائه على حاله. تداولت الصحف والقنوات التلفزيونية والبرامج الإذاعية كلها حادثة الطفل، بعضها ارجع السبب إلى ظاهرة علمية فريدة تخص فسيولوجية الجسم. والبعض ارجعها إلى شيء غيبي غير مكشوف. الجميع لم يصل إلى حقيقة بقاء الطفل على حاله سوى الطفل نفسه، فقد كان يعرف جيداً أنه ظل على عمره هذه، ولم يزد ثانية واحدة منذ أن حصوله على الساعة... الساعة التي أهداها له جده ذات يوم، لقد كانت ساعة مدورة كلاسيكية كالتي تظهر في الأفلام القديمة، والتي توضع في جيب صغير في السترة. اعجب بها الطفل جداً وحين طلبها من جده لم يرفض الجد طلب حفيده ومنحها إياه، وأوصاه أن يحافظ عليها. لم يرضخ الطفل لوصية الجد، بل كان يواجه فضولاً كبيراً في قلبه لمعرفة ما لذي يتحرك في بطن الساعة المذهبة. فتحها ذات يوم بمفك وراح يعبث بها مستخرجاً أحشاءها المعدنية. ومنذ ذلك

اليوم والطفل ظلَّ على حالته تلك، لم يكبر ثانية واحدة، ولم ينضج عوده وعقله وقلبه. لكنه احتفظ بكل ما في الساعة من أجزاء في علبة صغيرة، وفشل أكثر من مرة في إعادتها إلى وضعها الأول. سبعون سنة هرولن كما يهرول العداؤون، والطفل لم يفرط بساعته الخربانة. حتى قرر ذات ليلة أن يعيد الكرة ويصلح تلك الساعة من جديد. اخرجها من العلبة فكانت كما هي ولم تزل تحتفظ بلونها الذهبي، وأجزائها المعدنية ذات الأشكال اللولبية المسننة. بدأ المحاولة شيئاً فشيئاً، تعب في البداية من تركيبها،العرق واضح على جبينه، وعيناه زاغتا عن النظر لكن التصميم في قلبه كان أكبر من تعبه. أعاد جزءاً منها إلى وضعه السابق بصعوبة،ثم انتبه إلى جسمه الذي تمدد قليلاً!!. لقد ظهر شعر على ذقنه، ونما على شفته العليا شارب خفيف. هرول إلى المرآة ناظراً إلى نفسه، وضع كفيه على وجهه متلمساً ثم أنطلق إلى الساعة. استمر بالعمل على إعادة الساعة إلى وضعها الأول، مرتباً أجزاءها، وفي الوقت ذاته كان يستدل على دقة عمله ونجاحه من خلال ملامحه. كان كلما يربط جزءاً منها، يهرول إلى المرآة ليستدل إلى صواب عمله من التغير الحاصل في ملامح وجهه. ركَّبَ جزءاً بعد جزء، وعتلة بعد عتلة، وفي الوقت ذاته كان الشيب يتمدد على مساحة شعره، مع كل تركيب صحيح في أجزاء الساعة. التجاعيد تظهر أيضاً الواحدة تلو الأخرى، مع كل خطوة ينجح في تركيبها. حتى اكتملت ولم يتبق سوى إبرة صغيرة توضع في أسفلها، من خلال هذه الإبرة المدببة برأس مسنن صغي يتم تحريك الميلين وإرجاع النبض إلى الساعة. لا يعرف كيف داهمه شعور أن جده سيكون سعيداً بعد سنوات على وفاته، لأن حفيده قد أرجع الساعة إلى وضعها السابق. كان يعمل بسرعة كبيرة، متشوقاً لرؤية الساعة وقد دبت الروح فيها من جديد. غرس العود المعدني المدبب في أسفل الساعة، ثم نظر إلى ساعة إلكترونية موضوعة على الجدار لكي يتأكد من الوقت لضبطه. لقد كان الوقت شبيهاً لوقت تخريب

الساعة قبل سبعين سنة!. لم يفهم الطفل الذي صار شيخاً كيف جاءت الصدفة بهذا الموقف العجيب. لكنه كان مرتاحاً جداً لعودة الساعة إلى وضعها الأول. حرك ميلها وضبط الوقت تماماً، لكنها لم تحرك ساكناً..! هزها بيده،ثم نظر إلى ميل الثواني الصغير، بدأ يهتز كحيوان مولود للتو. ثم سار بالجهة التقليدية التي رسمتها له الأجزاء اللولبية في باطنها.. كانت الساعة تنبض وتتحرك أميالها بشكل عادي ولم تكترث لرجل شائخ مرمي على الأرض، يصارع من أجل استنشاق الهواء ويرفس بساقين متخشبتين.

# الشَّوْكيّون

في البدء كانت شوكة واحدة، حدثَ هذا بعد فوز فيلمي بجائزة محلية. التقيت بصديقي وكنت أنتظر منه حضنة قوية، مباركة منه لي على فوز الفيلم. ولكن الذي حدث أن صديقي اكتفى بالسلام عليَّ وتقبيلي ببرود. هنا احسست بألم الشوكة الأولى. كانت مغروسة في جانب وجهه، بالضبط في الطرف الأسفل من أذنه. في البداية كنت أعتقد أنه شيء لا يدعو للاهتمام. ماذا يعني وخزة في الخد عند سلامك بشخص مقرب منك. قد تكون عودة تطايرت بفعل الهواء، واستقرت بين خدينا باللحظة التي تبادلنا السلام. لكن الشوكة بدأت تطول،هذا ما لاحظته في أكثر من سلام متكرر بيننا. وحين سألته عن الشوكة النابتة في وجهه اجاب (لا أعرف من أين أتت! هل انت منزعج لوجودها؟). أنا نكَّرتُ انزعاجي بالطبع خوفاً على مشاعر صديقي. ثم مضت أيام، بدأت أجهز نفسي لإخراج فيلم جديد، فيلم كنت أراهن على نجاحه والاشتراك به في أكثر من دولة. وطوال فترة كتابة السيناريو والإعداد، كان صديقي مرافقاً لي في أغلب الأوقات. وخزني وخزة شديدة في خاصرتي حين كنا جالسين، صحت من ألم الوخزة وحين انتبهت إلى الجهة التي وخزتني، فإذا بشوكة طويلة ممتدة من خاصرة صديقي حتى خاصرتي!. سألت صديقي عن هذه الشوكة الجديدة فرد عليَّ (أووووه..إنها شوكة أخرى. لا تهتم يا صديقي..انشغل بعملك ولا تكترث.. دعك من الانشغال بهذه التوافه وامض إلى ما أنت تصبو إليه). انقطع الاتصال المباشر بيننا لأنني كنت أخشى لسعات أشواك صديقي اللواتي صرن أكثر. ظهرت

شوكة أخرى في يوم تصوير مشهد من مشاهد الفيلم. وحين طلبت رأي صديقي مدحني خلسة، وكانت شوكته الجديدة الظاهرة من إحدى كتفيه قد استقر رأسها المدبب في صدري. لم أستطع الصياح من ألمها، لأنني كنت أخشى أن يتأثر صديقي أو ينزعج. حتى صارت مجالسة صديقي لا تُطاق. كنت أتمنى أن ينشغل بصناعة فيلم كي يختفي عن نظري مدة، لعله يعود بعد الغيبة سالماً من الأشواك. لكنه كان مكتفياً ببقائه بلا عمل بل كان بين الحين والحين يسخف الشغل الإبداعي الذي أحلم به. كان يقول (إنها شغلة لا تجلب سوى الهم والفقر ولا تُشبع بطن). في الحقيقة كنت أسانده علناً وأختلف معه باطناً. كل هذا خوفاً على صداقتي معه. نهاية الأمر هو اكتفى بواقعه وظل يراقب كل عمل أقوم به. هو يحضر أغلب العروض التي يكون فيلمي واحداً منها، وحين نخرج من العرض، يكون صديقي قد وخزني بشوكة جديدة أجهل مكانها.. ثم أنتهى الفيلم الذي كنت أراهن عليه، بعد أن كملت جميع مراحل إخراجه والتصوير والمونتاج، ولم يبق سوى المشاركة به في مهرجان لعرضه. كان المهرجان دولياً وكان فيلمي أحد المشاركين في هذا المهرجان، أفلام من جميع دول العالم. ضاع خبرها حين شاهدت لجنة التحكيم فيلمي ثم منحتني اللجنة جائزة أفضل إخراج. أحزنني أن صديقي لم يحضر إلى المهرجان، لقد اتصلت به وردَّ عليَّ ببرود (آآه..أنا اعاني من نزلة برد.. بالتوفيق صديقي لن أستطيع الحضور). وأنا أعرف جيداً سبب عدم مجيئه. لقد كان الشوك يملؤه بالكامل، أنا لا أشك في هذا، فبعد آخر مقابلة بيننا حن زرته لكي أحكي له آخر تفاصيل إخراج الفيلم، كان كالقنفذ من كثرة الشوك المغروس في جسده. أعرف جيداً أنه يستحي من الحضور إلى الحفل، خوف أن يضايق الحاضرين، فلو كنت مكانه المسكين، لما خرجت من المنزل إلى حين موتي. منظر الرجل مع كل تلك الأشواك منظر قبيح.. ثم استلمت جائزة أفضل إخراج، كان الجمهور كبيراً والقاعة يدوي فيها التصفيق بشدة. أكثر ما كان

يفرحني أن الحضور كانوا على درجة كبيرة من الفنية والشغل في مجال السينما. فهم مشهورون قبلي وقد تعلمت منهم الكثير من التجارب. نزلت إليهم فتهافتوا عليَّ مسلمين.. عشرات من المخرجين.. صافحني البعض وحضنني وقبَّلني أخرون. لقد كنت مع كل سلام ومصافحة وحضنة أتذكر صديقي... لا أتذكره آسفاً على عدم حضوره، ولكن وخز المخرجين الذين هنؤوني، كان شبيهاً بوخز أشواك صديقي الذي لم يحضر إلى الحفل.

# كحول و مِئذنة

يدسُّ وجهه بين زحمة الاكتاف، ينتبه إليه الحضور، فيفسحون له المجال للدخول بينهم، يسلم على الجمع (سلام... سلام). يردون عليه السلام وهم يطالعون تفاصيل وجهه. كانت هيئته رثة، وحذاؤه ملطخ بالطين. يضع ساعده على كتف أحدهم ويقول (أنا هنااا... جئت للتبرع بالدم. لقد سمعت الندااااء في مئذنة الجا... عفواً... الجامع القَرييييب). يقترب والد الطفلة منه ويسأله بفضول(هل فصيلة دمك هي B سالب؟). يرد عليه بفم خادر وكلمات تتعثر عند خروجها (نعم... نعم أنا الدم الذي.. اي... تبحثون عنه... أنااا هنااا في خدمتكم، وخـــ... دمة... عفواً... وخدمة المستشفى وخدمة الجميع يا أحباااابي). وبعد انتهائه من أخر كلمة، يسحب أحدهم والد الطفلة ويقول له (هل تعرف من هذا؟ إنه سكير لعين، فاقد لتوازنه ورشده طوال الوقت ودمه مليء بالكحول). لم يجب والد الطفلة، وحين يطالع الحاضرون الصمت واضحاً على وجهه، يسحبه رجل آخر قائلاً(إياك أن تفسح المجال له بالتبرع لطفلتك، دمه نجس وسوف يقتل طفلتك، اصبر فلعل هناك شخصاً أت ليتبرع بالدم بدلاً عن هذا السكران). في تلك اللحظة تتأوه الطفلة، يهرع والدها صوبها، يضع كفه على جبينها ويصرخ (الطبيب... أين الطبيب). يردُّ أكثر من صوت من بين الواقفين (الطبيب في غرفته... الطبيب ينتظر... نعم إنه ينتظر مجيء أي شخص يحمل فصيلة الدم ذاتها). ينظر السكران بعينين ناعستين ثم يعتدل في وقفته ويسأل (أين الطفلة... هذا شرياااني لها.. خذوا من دمي حتى لو جفَّ كله). يمسك أحدهم بكتف الرجل السكران ويهمس

في أذنه (لا حاجة..لا حاجة استرح انت أو غادر المكان مصحوباً بالسلامة). لم يقتنع السكران بجواب الأخير، فيتشجع ويتقدم صوب مكان والد الطفلة الذي ينظر إلى ابنته بيأس، ويهتف السكران بأعلى صوته (أنت واااالد الطفلة؟ أنااااااا هنا للتبرع بدمي). يقف والد الطفلة ثم يطلب من أحدهم احضار الطبيب، لأنه يقرر أخذ الدم من الرجل السكير، يحيط البعض بوالد الطفلة ويخاطبه احدهم:

(أنت مجنون؟ لو كنت مكانك لرضيت بالموت لطفلتي، على ان يشرب جسمُها دمَ هذا السكير).

يستلم الحديث رجل آخر كان جالساً فيقف متحمساً ويقول:

(لنطرد هذا السكير الآن.. والد الطفلة يتصرف بعاطفته لا بعقله).

ينظر والد الطفلة إلى كلام الاخير مخاطباً:

(نحن لن نأخذ منه سوى الدم.. كل ما تحتاجه الفتاة الدم والدم نجس، إن كان حامله سكيراً أو رجل دين.. هل سأناسبه أنا أو أخطب منه أو أصادقه؟. سيتبرع بالدم ويمضي ولن أراه ولن يراني مجدداً).

يضحك الرجال بعد أن تبادلوا النظرات،ويعودون إلى الكلام مخاطبين والد الطفلة:

(لن تراه ولكن الجميع سيعلم) يقول أحدهم

(ماذا ستقول لأمها ولو علمت النساء وصديقاتها في المدرسة) يقول آخر

(أنا أقترح الصبر وطرد هذا السكير الآن) يقول شخص في الطرف الأخر من السرير

في ذلك الوقت كان الرجل السكران يقضم خياراً بكفه، ثم يخرج القليل من الفستق المالح، ويضحك ناظراً إلى شارب أحد الواقفين وينبس(شاااااربك

يعجبني). ويتلو الجملة بضحكة مخنوقة. ينتفض صاحب الشارب ويمسك بالسكران من ياقته، ثم يدفعه إلى باب صالة الطوارئ. ينظر الموظفون إلى الحالة وبعض الناس يعترضون على تصرفه فيهتف صاحب الشارب (سكران.. سكران)، فتصدر من بعض الواقفين هتافات استهجان لوجوده، موظف يصيح(ارمه في الشارع قرب أي مكب للنفاية)، وامرأة تتغشى قائلة بصوت مبحوح (عليه اللعنة.. من الذي سمح له بالدخول؟!). وآخرون يضحكون، وآخرون يقترحون تقديم شكوى، لأن وجود هذا السكير في هذا المكان يعتبر خرقاً للقانون الصحي وحماية المرضى. في النهاية يجد الرجل الثمل نفسه مرمياً على أرض صلبة خارج ردهة الطوارئ. السقوط على الأرض يعيد شيئاً من التركيز لعينيه، لكنه مازال غير قادر على تثبيت قدميه. ينهض ببطء ثم ينكث ملابسه، ويسير صوب باب المستشفى الخارجي.

صوت المئذنة القريبة يهتف بلا انقطاع:

(على من يجد في نفسه القوة للتبرع بالدم التوجه إلى ردهة الطوارئ في المستشفى وله الأجر والثواب... فصيلة الدم المطلوبة B سالب..إخوان على من يجد في نفسه...).

الرجل السكران يزداد وعياً ثم استغراباً،من وجوده كل هذه المدة في المستشفى

والد الطفلة يكرر استدعاء الطبيب والرجال حوله يصبروه...

الطفلة نبضُها يخفت..

# في انتظار جوجل

مضت على غياب الشمس ساعتان، واقبلت ليلة شتوية باردة كالعادة، تنذر سماؤها بزخة مطر وشيكة. صاحب المقهى بدأ بالعد التنازلي لموعد الإغلاق. هتف بصوت عال بلا تكلف (أستاذ سنغلق..الوقت تأخر والمطر على وشك الهطول). رفع عينيه، كان يطالع جريدة ثم قال (مازال الوقت باكراً.. أنتظر رسالة عبر الإنترنت من محرر في صحيفة، كان قد طلب مني مادة للنشر وقد تأخرت عليه.. اصبر معي قليلاً... تباً... أين الإشارة؟ النت مقطوع لديك). انتبه صاحب المقهى لإشارة النت ثم قال وهو يحك صدره (نعم إنه مقطوع... غريب لقد جددت الاشتراك قبل يومين، سنرى إن عادت بعد قليل لكي تنهي مهمتك أستاذ). دلف صاحب المقهى يعد مبلغ المال الذي جناه، وانهمك الاستاذ مرة أخرى بقراءة الجريدة، ناظراً كل حين إلى هاتفه النقال، منتظراً عودة إشارة النت.. في تلك البرهة دخل إلى المقهى رجل غريب، كان يلف رأسه بشماغ، ويرتدي سترة بسيطة على دشداشة بانت على ياقتها خيوط بنية متشعبة. جلس مسافة متر عن الأستاذ، رفع الأخير عينيه عن الجريدة، رمى بنظرة لم تزد عن ثانيتين صوب الرجل الغريب، ثم عاد و دسَّ عينيه في الجريدة. رعدت السماء، هطل المطر بزخات قوية. خرج صاحب المقهى ليطالع المنظر ثم عاد هاتفاً:

ـ المطر يهطل بغزارة

رفع الأستاذ عينيه مرة أخرى عن الجريدة،ثم قال:

ـ هل عادت إشارة النت؟

ـ لا أعرف أستاذ..بالمناسبة.. ماهي المادة التي تريد ارسالها؟

ابتسم الأستاذ موزعاً نظرة خاطفة بينه وبين الرجل الغريب ذي الشماغ، ثم طوى الجريدة ووضع ساقاً على ساق وقال:

ـ مادة أدبية..الصفحات الثقافية في الجرائد تراسلني وتطلب مواضيع ومواداً للنشر، كم يزعجني إلحاحهم وهو يتملقون لي لكي أرسل أي شيء، فهم يعترفون بقوة كتاباتي.

ظل صاحب المقهى واجماً ثم قال:

ـ هناك الكثير من الكتّاب في المدينة

ـ نعم يوجد.. ولكنهم مدفونون في تراب المحلية، تخيل أن خارج المدينة لا يعرفهم أحد

ـ أنت مشهور أستاذ؟ (سأل صاحب المقهى)

ـ تستطيع البحث عني في النت وتقرأ كتاباتي (أجاب الأستاذ)

كان الغريب يوزع النظرات بين صاحب المقهى والأستاذ. واستقر ناظراً إلى صاحب المقهى حين قال:

ـ واللّه يا أستاذ أتشرف بك ولكن لم أقرأ لك في حياتي

ابتسم الأستاذ مرة أخرى ثم قال بصوت أعلى من المعتاد:

ـ قلت لك تستطيع البحث عن كتاباتي في النت..أنا مشهور..لقد كُتِب عني الكثير من المقالات والدراسات

ـ معقول (قال صاحب المقهى)

ـ أين الإشارة اللعينة؟ (قال الأستاذ)

عاد صاحب المقهى إلى مكانه فصار الثلاثة كرؤوس مثلث، وبدأ الأستاذ يوزع النظرات حين يتكلم بين صاحب المقهى وبين الغريب ذي الشماغ قائلاً:

ـ أنا أكتب منذ ثلاثين سنة،عندي كتب في القصة والشعر والمسرح والنقد، كتابي الاول كُتِبت عنه مقالات نقدية بالعشرات...

قاطعه صاحب المقهى قائلاً:

ـ أستاذ اعذرني على جهلي ولكن اسمك قليل التداول، بمعنى أن المدينة لا تعرفك جيداً، أنا أمامك قارئ قديم ومهتم ولكن تعرفت عليك منذ فترة.

حين أنهى صاحب المقهى كلامه، كان الأستاذ يطالعه تارة، وتارة يطالع الغريب مبتسماً، ثم صاح بصوت خالطته ضحكة مخنوقة:

ـ حين يعود النت سندخل على جوجل ونرى، سترى أن لي سيرة ذاتية طويلة، هناك العشرات من المواقع التي نشرت لي والصحف، وأنا لا أستغرب أنك وأمثالكـ مع احترامي ـ لا تعرفون كتاب مدينتكم المهمين، فالجهل منتشر بشكل فضيع.. فضيع.

للمرة الاولى ينظر صاحب المقهى إلى الرجل الغريب ذي الشماغ، واراد اشراكه في الحديث قائلاً:

ـ كلامك صحيح أستاذ ولكن لا ينطبق على الجميع.. ماذا تقول أيها الأخ؟

هز الرجل ذو الشماغ كتفيه وابتسم لكنه لم ينطق حرفاً. تبدل لون وجه الأستاذ ثم تكلم بتصميم أكبر:

ـ هناك الكثير من الكتاب العالميين لم يشتهروا حتى ماتوا

ـ إذن سننتظر أن نسمع بك بعد أن تموت (قال صاحب المقهى وضحك).

ـ أنا لم أقل أنني غير مشهور..أين النت؟ سندخل على جوجل وترى بعينك اسمي على مئات المواقع.. سيرتي الذاتية وكتاباتي، صفحات وصفحات على مواقع الإنترنت وسترى بعينك ولن أقدم غيرهن دليلاً.

رعدت السماء مرة بعد أخرى، وكانت مع كل رعدة يحتدم المطر خارج المقهى. مرت دقائق صمت على الحضور، كان الأستاذ ينظر كل دقيقة إلى هاتفه منتظراً عودة إشارة الإنترنت. صاحب المقهى دلف إلى مكان الأقداح والأباريق، مرتباً المكان ويطالع عدد الاكواب وطريقة رصفها ونظافتها. الرجل الغريب ظل ساكتاً حتى خف المطر. انتبه صاحب المقهى إلى صوت المطر الذي أختفى ثم سأل الرجل الغريب (هل انقطع المطر؟). هز الرجل الغريب كتفيه ونهض خارج المقهى. لاحظ أن الجو صار صافياً، وأشار إلى صاحب المقهى بهزة رأس على توقف المطر. هتف مالك المقهى لينبه الأستاذ الجالس:

ـ الحمد لله... توقف المطر..هذه فرصة للرحيل

استمر الأستاذ ناظراً إلى الهاتف ثم قال وعيناه ملتصقتان بشاشة الهاتف:

ـ لم تعد الإشارة؟ شبكة النت لديك معطوبة

ـ اترك الموضوع أستاذ.. لقد صدقت كل كلامك انت كاتب كبير مشهور

طالع الأستاذ وجه صاحب المقهى ثم هتف:

ـ من قال أنني أريد إقناعك؟ أنا أنتظر الإشارة من أجل ارسال المادة إلى محرر الجريدة

نهض الأستاذ حاملاً جريدته، دس هاتفه في جيب سترته. خرج الثلاثة، صاحب المقهى اقفل باب المحل منهياً عملية التعزيل بصورة تامة. الرجل الغريب ذو

الشماغ هرع إلى عربة مركونة، وجس بكفه رأس الحمار المربوط أمام العربة، الأستاذ سار سيراً وئيداً، ناظراً إلى هاتفه تارة، وتارة إلى صاحب المقهى وذي الشماغ اللذين كانا منشغليْن.

# ديستوبيا

حزمتُ حقائبي لكي أهرب الليلة، مادامت المدينة ملتحفة بالظلام. سبب هروبي من المدينة له تبرير فادح، بالنسبة لي على الأقل، وبعد ان صار البقاء خطيراً. كانت المدينة أفضل حالاً في الماضي، حتى حدوث الجريمة الأولى التي مات فيها رجل معروفاً بطيبته. مضت الجريمة وأخذت معها كل تفاصيلها، من تحقيقات جنائية وكشوفات وأدلة، ولم يستطع أحد معرفة القاتل. الغريب أن الرجل الطيب المقتول لم يكن ثرياً، ولم يكن مرتبطاً بجهة هامة، بل كان رجلاً مسكيناً كل ما يملك حب الناس. بعد الجريمة الأولى توالت جرائم مشابهة، اقلقت هذه الجرائم أهل المدينة. الصحف و التلفاز وشبكات الاتصال امتلأت بالأخبار. الأقاويل تتحدث عن وجود قاتل متسلسل، سفاح، يقتل للمتعة وحسب. الادلة الجنائية اثبتت أنه يقتل بفأس كبيرة. والغريب أنه لم يقتل في مسيرته المخيفة سوى الطيبين. الطيبون كانوا هم ضحايا هذا السفاح المخيف، ولم يمر يوم وليلة على سكان المدينة إلا وتحدثوا عن السفاح،عن قتله فلان الرجل الطيب، وقتله لفلانة المرأة المسكينة. ومع مرور الأيام، صرت أشعر بتغيير في ملامح المدينة النفسية. على سبيل المثال اختفت عبارات السلام، وصار أهل المدينة أكثر صمتاً ووجوماً. لم يعد الناس يتزاورون في ما بينهم في عرس أو عزاء، ولا يسلم أحد على أحد حين يمرضون. بل تطرفوا، صار الواحد يلعن الآخر إذا تلاقيا، وتبدلت عبارات السلام إلى عبارات خشنة وجارحة. وحين اعترضت مرة جابهني البعض وأدعى أن عبارات السلام القديمة، هي عبارات كلاسيكية، وإن العبارات

الجديدة أكثر تمدناً. الغريب أن حالات القتل المتسلسلة قد تضاءلت، لم نعد نسمع بجريمة جديدة ارتكبها السفاح..!. هنا تشجع أهل المدينة وازدادوا شراً. تبدلت عبارات السلام الخشنة والشتائم إلى ضرب، كنت أرى الصديق حين يسلم على صديقه يصفعه، ثم يرد الآخر بصفعة يصفر صوتها في الأُذُن. النساء تخرمش الصديقةُ صديقتها في الوجه، وتملش الواحدة الأخرى من شعورهن. الأطفال يهرولون في الشوارع، ويعبث كل طفل بمؤخرة الطفل الآخر بلا حياء. الأسواق مليئة بالبضائع الفاسدة، يغش البائع المشتري علانية، وعلى العكس يجتنب الناس البائع الصادق، بل يبحثون عن أكثر الباعة غشاً. الرجال يبحثون عن أكثر النساء مكراً، والنساء يبحثن عن أكثر الرجال دناءة. ومع هذا التغير في طبيعة أهل المدينة، آمنت المدينة على نفسها من فأس السفاح. حين انعدمت حالات القتل تلك.. حتى اسمها تبدل إلى مدينة الشر، صار الناس يتناقلون اسمها الجديد في ما بينهم مفتخرين به. ولم يكن في المدينة شخص رافض لما يجري غيري. فضحوني حين رفضت، وصاروا يتبرؤون من رأيي واعتقادي. وهذا شيء سيء بالنسبة لي، هم يحاولون كسب ود السفاح، ولكن على حساب تصفيتي وقتلي..!. كنت أعلن أن السفاح قد رحل أو مات أو حدث له أي شيء. وكنت أطالبهم بالتوقف والعودة إلى ما كانوا عليه، ولكن بلا جدوى فهم مستمرون بتصميم هائل. لهذا قررت الانزواء عنهم، ما دمت أعيش بمفردي فما المانع من الاستمرار في حياتي، وأنا بعيد عن تصرفاتهم. ومع هذا التفكير لم أسلم منهم، لقد صاروا يعلقون على باب منزلي أوراقاً، مخطوطة عليها عبارات مثل(هنا يسكن طيب... سيدي السفاح هنا ضالتك التالية). وكنت كلما مزقت تلك الإشارات إلى مكاني، علقوا غيرهن من جديد. يجلبون عشرات الفؤوس ويضعونهن قرب بابي، وكأنهم يوفرون حمل الفأس للسفاح، ويهيؤون لقتلي بأبسط الطرق. متزلفين له كما يحب ويرغب. الغريب في الأمر أن السفاح لم يأتي لقتلي، مع كثرة الفخاخ

التي نصبوها لي، ومع لذة الطُّعم الذي وضعوه للسفاح، عشتُ في منزلي سالماً حتى جن جنونهم. ثم حدثت المفاجأة، لقد تم العثور على جثة السفاح في كوخ خارج المدينة، كان الكوخ بعيداً وملاذاً جيداً للسفاح. لكن جثته تحللت وفاح زنخها ففضحت مكانه. وعثروا عليه كما تداولت الصحف في داخل الكوخ ممدداً على سريره، مع مجموعة كاملة وكافية من الأدلة التي تشير إلى جرائمه إلا الفأس. لم يتم العثور عليها وكان هذا الخبر الأكثر غرابة، لأن الفأس تلك كانت كما يصفها البعض أيقونة السفاح المخيفة. توقعت أن يسكن روع أهل المدينة بعد هذا الخبر، خبر موت القاتل المخيف. لكنهم خرجوا في اليوم التالي بعد شياع الخبر، حاملين فؤوساً صقيلات. يلوحون بها، ويدعي كل شخص امتلاك فأس السفاح المفقودة.

# الكلماتي

من ذا يعرفه جيداً غيري؟. أنا أقرأ كلَّ كلمة يكتبها قبل نشرها. كان صديقي وكنت مشفقاً عليه، مع أن المدينة كلها كانت تحترمه. فهو بطل الكتابة في نظرهم، مؤلف الملاحم، وخالق أجواء الحرب والفروسية والإيثار. تخيلوا أن أطفال المدينة كانت تخافه إن مرَّ في شارع، والشيوخ والشباب يقفون له احتراماً. أما النساء فكنَّ يحسدن زوجته، يتخيلن كيف يدلف إلى المنزل وكيف يجلس على الأريكة، ومنظر زوجته التي تقف قربه كما تفعل النسوة في العصور القديمة، تصب له الماء ليغسل قدميه ويديه ثم تصب له الطعام. وتظل مؤتمرة بأمره حتى يفرغ. حين أسمع مثل هذه التخيّلات عن صديقي الكاتب البطولي، أضحك بيني وبين نفسي، فهو بالفعل في مضمار الكتابة لا يسبقه قلم، حين يكتب عن البطولة والشجاعة والرجولة. لكنه في المنزل غير ذلك، لأن زوجته التي أعرفها جيداً تضربه بالنعال على رأسه. بل تتعمد إهانته بسبب أو من دون سبب. ولكم كنت أسأله كيف لزوجتك أن تهينك بهذه الطريقة؟. ومن أين أتت بكل هذه الشراسة..؟!. لم يكن يجيبني بل كان يرمي بين يدي أوراقاً، وحين أقرأ أجدها حكاية بطولية عن فارس شجاع، يلوي الحديد ويأكل الحجر ويصارع مائة فارس. المشكلة إن زوجته لم تكن متقوّية بمال أو منصب، ولم تكن لها عائلة شديدة تدافع عن بنتها بعمى.. كان صديقي يصرف عليها من الألف إلى الياء، وعيّشها في عزّ وعيش رغيد. ولم يكن يرفض لها طلباً حتى لو طلبت كحلاً من الليل، أو قلادة من

نور القمر. كانا متوافقين تقريباً. لم يكن بالرجل الفقير كي تفسد عليه حياته بالمن، ولم يكن بالرجل الحقير أخلاقاً أو نسباً لكي تعيره. كما قلتُ كان كاتباً بطولياً مع كل حكاية ينشرها أعرف جيداً أنه أكل قبلها (بسطة) دسمة.. تتنوع زوجته في ضربه وتتفنن، لكنها في أكثر المرات تضربه بالنعال.. غير أنها تؤذيه في بعض الأحيان، حين تأتي الضربة على فمه مثلاً، فأعرف أنها على فمه من حدث الحكاية حين أجد فيها أن الفارس قد ضُرب على فمه بالسيف مثلاً. في بعض الأحيان أجد في الحكاية أن الفارس قد رموه بسهم في رقبته، فأعرف جيداً أن زوجته قد رمته بالنعال على نفس المكان. لقد كان المسكين يعاني جداً،مع كل مجموعة من القصص التي تخرج للعالم يكون صديقي قد أكل قبل اصدارها مئات الضربات، بالنعال والملاعق والطشوت و(الصوندات). حتى التقيت به مؤخراً.. كانت صدمة بالنسبة لي.. لم أكن أتوقع أن صديقي يقدم على فعلة كهذه. لقد اعطاني صديقي قصة جديدة كتبها، وحين قرأت القصة وجدتها تتحدث عن بطل جبان، ثم أنني سألته بفضول (هل غيرت في أسلوب كتابتك؟لم اعهدك تكتب عن الجبن؟!). لكنه لم يجب وظل مبتسماً براحة كبيرة. في الأيام القادمة تغير صديقي فكرياً. صار يكتب عن النذالة والغدر والخسة والوضاعة، عن عوالم لا بطولات فيها ولا شجاعة، عوالم مليئة بالمكر والغدر والجبناء. حتى مقته الجميع ونبذه. بل هجره قرّاؤه، وصار مُحتقراً من المدينة واهلها. فلم يعد احد يهاب الكاتب البطولي ولم يعد أحد مهتماً بقصصه تلك.ومع كل هذا كنت أجد في عينيّ صديقي راحة عجيبة. لقد كان مستئنساً بكتاباته تلك وكان لا يهتم لأمر المعجبين والقرّاء حوله. بل كان يسرف في كتابته عن الجبن والجبناء. سألته في آخر مرة ألتقيته(ما بالكَ؟ اخبرني ماذا يحدث معكَ؟) اجابني ببرود (لقد انتهى كل شيء.. أنا الآن أكثر راحة، لقد دفنت كومة الأبطال الشجعان في حديقة المنزل). كانت

هذه الجملة الغريبة أخر ما سمعته منه قبل اعتقاله من قبل شرطة المدينة. الشرطة ذاتهم الذين حضروا إلى المنزل وحفروا في الحديقة وأخرجوا جثة متفسخة وأوراقاً مكتوباً فيها عشرات القصص البطولية.

# رِقاب مُتحجِّرة

بصعوبة جسيمة دخل الرجل ذو الرقبة إلى عيادة الطبيب الجرّاح، بعد أن امسك أحدهم يده، وصار يقوده إلى مكان جلوسه ينتظر دوره لكي يدخل إلى الطبيب المختص. كان الرجل ذو الرقبة مشهوراً في المدينة، فقد كانت رقبته متحجرة إلى درجة أنه لا يستطيع إنزال رأسه إلى الأسفل. وكان أهل المدينة يكرهونه، فقد كانت مشيته في السوق تستفز المارّة، إذ يعتقدون أنه متخم بالغرور إلى الدرجة التي يرفع فيها رأسه بعلو وتفاخر. مع أن الرجل ذا الرقبة لم يكن مغروراً، ولم يستطع إقناع الناس في المدينة أن رقبته متحجرة، وأن عملية إنزال رأسه إلى المستوى الطبيعي كانت مهمة شاقة ومؤلمة. حتى أنه عانى كثيراً من تحجّر رقبته، لأنه لم يعد يحص عدد المرات التي سقط فيها في أفواه البلاليع، وصار يتجاهل تحرش المياه الآسنة على أطراف بنطاله. أما بالنسبة لأصدقائه، فلم تنمو في بستان عمره شتلة صداقة. يهجره أي صديق بعد أن يصيبه الملل والإرهاق وهو يقود رجلاً ذا رأس لم ير الأرض منذ سنوات. وهذا ما دفعه في التفكير بجدّية في أن يجري عملية لرقبته لكي تعود طبيعية. يستطيع من خلال العملية الجراحية أن يكون إنساناً عادياً. يستطيع تلميع حذاءه بلا مساعدة ويستطيع رؤية الصيادين على جرف النهر، وينتبه كي لا يتعثر بالنساء المتسولات الملتصقات بصمغ العوز على وجه الشارع. بالطبع تكون العمليات بهذا النوع مكلفات نوعاً ما، فهي تحتاج إلى مبلغ كبير من المال، وإلى تدخل جراحي عميق في أصل الفقرات والعظام وتمزيق ما يعيق الرأس عن النّكْس.

رنَّ جرس الطبيب، فأومأ المساعد للرجل ذي الرقبة بالدخول لكنه لم ينتبه. كان يحلم رافعاً رأسه قسراً، ولم يستطع الانتباه. هتف المساعد على الرجل ذي الرقبة منبهاً أن دوره قد حان لملاقاة الطبيب. نهض بصعوبة مرتكزاً على فتات قوته، ثم توجه صوب الباب الأبيض اللدن. تلمّس بكفه مقبض الباب ودخل مسلماً على الطبيب، الذي لم يستطع الرجل ذو الرقبة تمييز ملامحه. بعد عبارات جاهزة من سلام بارد، عرف الطبيب علّة الرجل، ثم صار يفحص بدقّة أجزاء الرقبة ويحركها يمنة ويسرى. سأل الطبيبُ الرجلَ ذا الرقبة عن تأريخ تصلب رقبته فأجاب الرجل (منذ زمن بعيد يا جناب الطبيب) ثم لحَّ الطبيب في معرفة التأريخ بشكل دقيق مما دفع بالرجل ذي الرقبة إلى البوح (نعم يا جناب الطبيب... كما قلت لك منذ زمن بعيد، كنتُ شديد التعلق بالقمر الفضي.. كنت أقف كل ليلة عند اكتماله وأغني،كنت مُغرماً به وأعشقه بل كنت أبتكر قصص الحب مع فتيات، لكي أهرول في المساء وأغني للقمر..نعم يا جناب الطبيب.. ظل رأسي معلقاً منذ ذلك الزمن البعيد). لم يستطع الرجل ذو الرقبة تمييز ملامح الطبيب، لكنه يسمع بشكل واضح صوته ودفقات عنيفة من زفيره. كان الطبيب يتكلم بصوت متكسر مع الرجل ذي الرقبة، حتى أنه – المريض ـ أرتاح كثيراً فقد توقع أن الطبيب قد تعاطف معه إلى درجة كبيرة. حدَّد الطبيب موعداً للعملية، وأشار على مريضه بالراحة قبلها. ثم أن موعد العملية جاء ببطء. وبعد اجرائها بشَّر الطبيب الجراح مريضه بنجاحها. كان ممدداً على سريره بعد تلاشي التخدير وعودة وعيه. شكر الرجل ذو الرقبة طبيبه، وصار ينثر على رأسه المديح والثناء. والطبيب يزفر بشدة كأنه مصاب بنوبة قلبية..!. قرر الطبيب مغادرة الصالة لترك المريض في وضع الراحة. أدار الرجل ذو الرقبة رأسه صوب الطبيب، أشتهى رؤية الشخص العبقري الذي خلّصه من جحيم حياته، بالرغم من الغواش في عينيه. لكن الرجل ذا الرقبة تأوه وتوسعت عيناه، وهو يطالع رجلاً قصيراً، يرتدي روباً أبيض، ويضع على

صدره كارت التعريف الخاص بالأطباء، لملم أغراضه بصعوبة وخرج من الباب مهنئاً مرة أخرى مريضه على نجاح العملية. كان الطبيب ذا رقبة مقوسة للأسفل، وكان رأسه متدلياً كشتلة يابسة.

# طرفُ المشنقة

حين جاء إلى الدنيا وضعوا في رقبته المشنقة، مع احتفال عائلي دُعي إليه الأقارب والأصدقاء. كان الحضور كلهم يحملون مشانقهم على رقابهم، لكن فتحات المشانق كانت مختلفة من شخص لآخر. قالت والدته:

(مشنقة جميلة..خيوطها متينة ولطيفة في الوقت ذاته)

ثم قال والده:

(من الصعب ايجاد مشنقة جيدة في هذه الأيام... لقد عثرنا عليها بمشقة بالغة).

ومنذ ذلك اليوم والمشنقة حول عنقه، وكما كان واضحاً أنها مريحة في سنواته الأولى. ولم يكن متأثراً بها بتاتاً، حتى أنه لم يكترث لوجودها ولم تضايقه. كما هو واضح في البداية كانت حلقة المشنقة واسعة. لكنها ضاقت شيئاً فشيئاً مع مرور الأيام. الكثير من الحوادث التي أدت إلى ضيق المشنقة. طرف المشنقة المتدلي وراءه كان يعلق، فتضيق الدائرة على الرقبة. أحداث كثيرة دفعت بحلقة المشنقة إلى الضيق، ففي الدراسة مثلاً، كان طرف المشنقة دائماً يعلق برحلته وباب الصف والسبورة.. زوجته حين تنام إلى جنبه في السرير، تضع جسدها على الطرف، وحين ينهض من النوم يعلق فيها أيضاً. أطفاله الذين يلعبون في المنزل يسحقون الطرف سهواً، فينبههم إلى أن يأخذوا حذرهم على طرف مشنقته وأطراف مشانقهم أيضاً. صحيح أن مشانقهم كانت رخيصة،لكن المهم كما كان

يقول (فتحة المشنقة عليكم أن تأخذوا حذركم من ضيقها). بعد أن عبر إلى ضفة خريف العمر، صار لا يهتم كما كان في السابق إلى مشنقته. يسير بوجه مجعد متيبس في الشوارع، يسحق البعض على طرف المشنقة فتضيق ويعتذرون ثم يرد عليهم (لا بأس... تعودت... خذوا حذركم أنتم من فتحات مشانقكم فهي مازالت واسعة). لقد صار يتنفس بصعوبة من ضيق المشنقة، وصارت تضايقه كثيراً في النوم والسير والحديث. فلم يهنأ بصحبة صديق، ولم يرتح في جلسة أو منام. حتى صادف في يوم من الأيام شخصاً غريباً. كانا يجلسان على مقاعد متباعدة قرب بحيرة صغيرة في المدينة. كانت البحيرة تفصل بين مقعديهما وبين متنزه في الضفة الأخرى. وصاحب المشنقة ينظر بشوق إلى المتنزه، فلم يصبر حتى فتح وثاق الحديث مع الرجل الغريب قائلاً:

(ما اجمل أن يعبر المرء إلى تلك المتنزه لولا مشنقته).

رد عليه الغريب:

(نعم بالتأكيد... هل تشتهي العبور؟).

اجاب صاحب المشنقة:

(نعم أريد العبور ولكني أخاف على فتحة المشنقة من ماء البحيرة، فانت كما ترى إنه ثقيل وسيسحب الماء طرفها).

اقترح الغريب عليه حلاً:(سأساعدك..أنت سرْ في البحيرة وأنا أمسك طرف المشنقة كي لا يبتل)..فرح بهذا المقترح، ثم نهضا من مكانيهما. امسك الغريب بطرف المشنقة، وأمر صاحبها أن يسير إلى الضفة الأخرى. لم يكن مهتماً بالماء الذي غسل أطرافه وملابسه، بل كان يوصي الغريبَ أن يأخذ حذره من طرف المشنقة كي لا يبتل بالماء. وحين سارا مسافة طويلة وصلا إلى ضفة المتنزه. في تلك اللحظة احس صاحب المشنقة بضيق شديد على رقبته، التفت وراءه لينبه

الغريب الذي يمسك بالطرف، فلم يره الغريب... لقد نزل إلى القاع كأن حفرة عميقة بلعته. هتف (أين أنت..؟ اخرج بنا من الماء..لم يبعد المتنزه كثيراً). لكن الغريب هبط إلى القاع بكامل جسمه حتى أختفى، ماسكاً بطرف المشنقة التي علق في يده. ناضل من اجل إخراج نفسه، سار بكل قوته صوب ضفة المتنزه رافضاً أن يجره الغريب إلى القاع. ضاقت المشنقة في تلك اللحظة حول رقبته، لم يعد قادراً على التنفس،سعل بقوة وتشجع من أجل الوصول إلى الضفة، لكنه استنفد آخر قطرة عزيمة فيه. سقط على الضفة مختنقاً بعد أن ضاقت المشنقة إلى آخر حد لها. هرول أطفال كانوا يلعبون في المتنزه لرؤية المنظر.. شيخ ساقط على الضفة وحبل مشنقته غاطس في الماء.. عادوا إلى مكانهم بعد أن حذرتهم المعلمة التي جاء الأطفال بصحبتها:

(ارجعوا إلى أماكنكم أحبتي... لا تعبثوا قرب تلك الضفة... خذوا حذركم من أطراف مشانقكم).

# عشيرةُ العاقول

جاءت العاقولة إلى المدينة صدفة. كانت محشورة في سيارة تنقل الرمل من أطراف المدينة. عاقولة صغيرة ذات شوك ناعم. اكملت السيارة مهمتها حين فُرِغَت الحمولةُ في إحدى شوارع المدينة. نهضت العاقولة، نكثت التراب عن شوكها ثم ابصرت أشياء غريبة لم تألفها من قبل. شوارع وإشارات مرور، سيارات تزمجر محركاتها وتهتف بأصوات (الهورن)، أقدام بشر تضرب الأرض، عجلات هوائية، عمال يغسلون الشارع. فزعت العاقولة من هول المشهد، فهي لم تر في حياتها هذه التطورات الهائلة، كان الفضاء واسعاً في مكانها القديم. ولا تفزع إلا حين يمر قطيع من الأبل، فيلتهمها كما التهم بعضاً من عشيرتها. زحفت العاقولة رويداً رويداً لكي تحتمي بظل شجرة كبيرة. سألت العاقولة الشجرة (ألا يوجد مكان قريب أمكث فيه سيدتي الشجرة؟). طالعت الشجرة العاقولة ثم قالت لها ببرود (نعم..هناك حيث الحديقة العامة). ادارت العاقولة وجهها ثم زحفت صوب الحديقة. كانت الحديقة مسيجة بسياج من الأشجار الخضر، وتسكن في محيطها انواع من الأزاهير. دلفت العاقولة إلى الحديقة، نظرت إلى الازهار المرتبة ثم حسدتهن على نضارتهن وروعة ترتيبهن ودقة تقليمهن وألوانهن الزاهية. اقتربت العاقولة من إحدى الشتلات مسلمة بتواضع. نظرت إليها الشتلة وهتفت مستغربة ثم أثار هتاف الشتلة أخواتها فنظرن إلى العاقولة أيضاً. سألت الشتلة العاقولة (من أين أنتِ..؟ نبتة غريبة لم نر مثلكِ هنا؟!). ردت العاقولة (نعم..أنا من مكان بعيد.. من الصحراء

أتيت صدفة مع وجبة من الرمل، وها أنا ذا حائرة لا بيت لي ولا أهل... آه كم أفتقد مكاني القديم). تأثرت الشتلة واحنت رأسها على العقولة وقالت (لا بأس... لا تكترثي... عيشي هنا معنا سنكون كأخواتك). فرحت العاقولة وعاشت مع الشتلات المرتبة. لم تأخذ العاقولة مكاناً ثابتاً في الحديقة، بل صارت تتجول بين شتلات وشتلات، تارة قرب أزهار ملونة، وتارة قرب شجيرات دائمة الخضرة. وحين يأتي حارس الحديقة تختبئ العاقولة خوف ان يزيلها من المكان. تغرس جذورها في أي بقعة طينية وتمتص الماء، شبعت العاقولة ماءً في الحديقة بعد ان كانت تنتظر قطرات من المطر، تمنحها إياها غيمة عابرة. حتى كبر شوكها وتفرع في تفاصيل بدنها. تعرفت على كل الشجيرات والأزاهير، صارت العاقولة تبدي رأياً هنا ورفضاً هناك. تتدخل في نزاع بين وردة وأخرى، وتحاسب شتلة لو شربت ماءً أكثر من الحد المقرر. ثم بعد مدة تمردت بعض الأزاهير على العاقولة، صحيح أن الأزهار ذات رائحة زكية ولون زاه، لكنها لم تكن تقوى على شوك العاقولة وصبرها وبأسها في المواجهة. لقد كانت العاقولة ذات نفس طويل حين تواجه و تتكلم بلا انقطاع. وحين تغضب يتطاير الشوك منها في كل اتجاه، لترشق الأصدقاء والاعداء به بلا تحديد. كان عقاب الأزهار المتمردة قطع الماء عنها.. لقد غرست العاقولة جذورها تحت كل زهرة، لتمتص ماءها حتى تذبل.وحين يأتي حارس الحديقة ويجد الزهرة ميتة من العطش، يستأصلها من دون أن يدري السبب. فالعاقولة تختبئ كما هو معروف لدى وصوله. حتى هيمنت العاقولة على الحديقة. ومع مرور الوقت صارت الحديقة شاحبة بعد أن ماتت اغلب تلك الأزاهير. ولم يجد الجنائني المسؤول سبباً كافياً لموتها. بلغ الجنائني مسؤوله وتم اقفال الحديقة إلى إشعار آخر. في ذلك الوقت عاشت العاقولة وحيدة، بعد ان صارت مساحة الحديقة كلها ملكاً لها. شعرت بالحزن في بادئ الأمر، حتى

أنها تمنت العودة إلى الصحراء، حيث المكان الواسع وعشيرتها القديمة. لكن حزنها تحول إلى فرحة غامرة حين طالعت ذات صباح سيارة حمل كبيرة، معبئة بتراب صحراوي، وعدد هائل من العاقول، بان على أشكالهن الشحوب والعطش.

# الحزب

علا هتاف الجمع (يعيش الحزب... يعيش الحزب)، ثم أنبرى كبيرهم ذو الشارب بإشارة من كفه، وبحركة في الفضاء كأنه يطبطب على رؤوس المجتمعين، قال بعدها (اجتمعنا اليوم لتمجيد حزبنا العظيم، كما تعرفون أن حزبنا قدم الكثير من العطايا وهو صاحب المنن علينا) خرجت أصوات متفرقة (بلا شك... هو حزبنا كما عهدناه... صحيح صحيح).عاد كبيرهم للحديث قائلاً بعد أن ملأ صدره الحماس (وأنتم بلا ذرة شك ستضحون من أجله بكل غال وثمين) تفرقت أصوات (نعم..نعم نقسم على هذا). عاد كبيرهم ذو الشارب إلى الحديث بصوت هيمن على الحضور(منذ ان أسست الحزب وأنا كلّي ثقة بكم أيها السادة، فالحزب الذي لا يأتمر أتابعه بلائحته وفلسفته ورؤاه، لا يجب أن يكون بيننا هنا. قد يشكك البعض خارج هذا الحفل بولائكم وحبكم لحزبكم العظيم ولكن كل هؤلاء المشككين، ما هم إلا حسّاد يبغضون حركتكم الثورية هذه، حركتم التي ينتظرها العالم للخلاص من الفقر والجهل، واتّباع الوصايا بعمى من دون تفكير أو تمحيص. نجتمع اليوم لنقسم على غض النظر عن أصحابنا إن أخطأوا،لأن أخطاءنا بيض، تهرول وراءنا ولسنا نحن من نهرول وراءها، ولعلها ـ أعني الأخطاء ـ تأتي بمؤامرات تريد اثباط عزمنا وتقدمنا، في سبيل رفع راية الحزب أعلى من كل الرايات. لهذا أوصيكم أن تحتفوا بأعضاء حزبكم وإن كانوا على درجة عالية من الغباء، لأن الاحتفاء بهم سيكون نصراً للحزب بالطبع، ونصر الحزب هو نصر للعلم والتمدن والتقدم. وأريدكم أن تتحركوا كقطيع، لا أعني

قطيع الضباع مثلاً فهو مثال غير مرغوب به، لما يحمل الضبع من صفات سيئة، ولكن أن تتحركوا كقطيع ذئاب، فهو وصف أدق لحركة حزبنا، لأن الذئاب في النهاية لا تأكل فريستها إلا بعد أن تتأكد من قتلها، وليس كما تفعل الضباع). تفرقت أصوات (طبعاً... طبعاً... الضباع سيئة... كلنا نكره الضباع... التشبيه بالذئاب أفضل). عاد كبيرهم إلى الحديث (لهذا أيها الأحبة، أيها الجمع المناضل، أدعوكم إلى أشياء أهمها التفاني في تبييض وجه حزبنا، والسعي قدماً في إقناع الناس بجودتكم، ونعومة ملمسكم، وروعة أدائكم وحضوركم.انتم لستم سلعة كما يدعي الجهلاء،أنتم جنود أوفياء لخدمة حزبنا العريق، ولن يخيب ظني في تمثيلكم لهذا الحزب أجود تمثيل. أنا أعلم أنكم تتعبون وينال الضرر من بعضكم، حتى أني وجدت في أكثر من مرة أعضاء في حزبنا قد نبذهم الناس وعاشوا في أنقاض المجتمع.. لهذا أنا أدعوكم إلى جلب كل رفاقكم الذين تروهم هنا أو هناك، اجلبوهم لنعيد تصنيعهم وترميم وجوههم،فهذا هو الوفاء بعينه يا أحبتي،ولسنا مقتصرين على أعضاء حزبنا، بإمكانكم انتشال أي عضو جديد ترونه مهملاً، بإمكاننا ترميمه أيضاً وإعادة تأهيله ليكون من جماعتنا). تعالت هتافات شديدة (كلنا فداء للحزب... نحن جنود الحزب). بارك كبيرهم ذو الشارب فيهم، ثم ودعهم إلى لقاء آخر، اطفأ النور وتأكد من قفله لباب القاعة العتيق. ثم ارتدى سترته وخرج.. لقد كان آخر عامل يخرج من مصنع الدُّمى في ذلك اليوم.

# صوت الحِملان

نعم أيها الطبيب.. لقد عانيت كثيراً من ذلك المرض، مرض التصق بجسدي كما تلتصق العلكة بشعر الفتاة. هل تصدق أنه زال دفعة واحدة حين أجريت لي العملية، وأنا عاجز عن شكرك صراحة. فمنذ صباي لم أهنأ بطعام أو مشرب.. النوم... النوم الذي يبعثره الليل على عيون الناس لا يعطف عليَّ ولا يحب زيارة عينيَّ، حتى شحبت وذبلت. كانت بطني منفوخة على الدوام ورأسي يدور كما يدور الناعور. يغرف الألم من نهر الحياة ويصبه في ساقية أفكاري التي توصله إلى بستان عمري. شكراً لك أيها الطبيب، أكرر شكري عاجزاً عن ردِّ الجميل لكَ.. نعم أعترف أنني الآن أقل حملاً، أنا الآن خفيف إلى درجة أنني أخشى من الريح القوية، باستطاعتها أن ترفعني من الأرض  لشدة خفّتي التي أحس بها. لقد جربت قبل المجيء إليك أنواع العلاجات والأدوية ولم تنفع جميعها. نصحوني أن أغير مكاني، أسافر مثلاً، وسافرت كثيراً حتى تهدلت كتفي من ثقل حقيبتي ولم ينفع. كان المرض يتنقل في مواطِن جسدي بلا توقف، كم نهرته أن لا يعبث بهذه الهبة التي لا أملك غيرها، أعني جسدي أيها الطبيب، ولكنه لم ينتهر بتاتاً. كان المرض وقحاً، لا يبالي إن وضعت رأسي على الوسادة في لكز تفكيري ليوقظني مرعوباً.. لم يهدأ المرض يوماً أيها الطبيب، كان ينمو مع جريان الأيام، وكان الناس يستغربون مرضي فهو شيء غريب عنهم. لم أر في حياتي يا جناب الطبيب مريضاً مثلي، ولم أسمع شكوى تصدر من أحدهم، عن أعراض مشابهة لأعراض مرضي. حتى تخيلت أنني الوحيد المصاب بهذا المرض اللعين. لقد زرت

قبلك الكثير من الأطباء، لكنهم فشلوا في تشخيصه وتحديد سببه ووصف علاج ناجع له. كانوا يوصوني بتناول المهدئات، حتى امتلأت بطني بمئات الحبوب المهدئة ولم أرتح. لكنني اليوم وبفضل مساعدتك صرت أفضل بكثير، لقد عادت الراحة إلى جسدي وصرت إنساناً حقيقاً. أستطيع العيش والتواصل مع أقراني.. نعم أن أثر الجراحة في جمجمتي مازال يؤلمني، لكن العملية خلصتني من تلك الأعراض المزعجة التي ارهقتني قديماً، وصرتُ بعدها شخصاً يأكل وينام بسلام. الناس في المدينة كلهم يأكلون وينامون بسلام يا جناب الطبيب، وسعيد أنا بهذه النتيجة التي وصلتُ إليها. مشاريعي صارت قريبة من الإنجاز، وأحلامي نزلت قليلاً، كانت الأحلام بعيدة جداً، عالية، لم أستطع لمسها وهي مرصوفة قرب نجوم السماء. أما الآن فالأحلام صارت واطئة، لن تصدق إن قلت لك أن أحلامي الآن أوطأ مني، أنظر إلى رؤوسهن كما ينظر المعلم إلى رؤوس تلاميذه، حين يجلسون على رحلاتهم. ولا أخفي عليك أيضاً أن برازي الأخضر يزعجني كثيراً، ووجبات الأكل المليئة بالسيليلوز التي تخلو من الطعم اللذيذ أيضاً مللتُ من تناولها، ولكن أنا راض بهذا الأمر، على الأقل نجوتُ من متلازمة الحزن التي كانت تهيمن عليَّ في فترة مرضي.. لن آأخذ من وقتك الكثير.. سوف أغادر الآن، وأكرر شكري وتقديري واعجابي بما فعلت..آآه... نسيت!! ماذا فعلتَ ببقايا الخروف الذي احضرته لكَ؟. أذكر أنك كنت مهتماً برأسه، وأذكر أنك شرحت لي كيف كسرت جمجمته بصعوبة.. أعتقد أنه كان أباً لثلاثة حِملان صغار، لأن أصواتهم المُتهدِّجة مازالت عالقة في مخّي..!!.

# عائلتي

سأموت بلا شك، أموت متحسراً على غياب أعزِّ ما أملك، كأن جميع الأمراض في العالم هجمت على جسدي كقطيع غيلان حتى ذبلت وأخذ الشحوب مني لوني الحقيقي.. لم أكتب حرفاً واحداً منذ أن فارقتهم، أنا الكاتب الذي كنت أغزو الأذواق بكتاباتي الشهيرة..أنا يائس بالفعل من بقائي على قيد الحياة، لأنني أشعر بالفناء يقترب مني ببطء، وحتى تأتي تلك اللحظة التي ألفظ فيها آخر أنفاسي، لن أنسى عائلتي.. سأظل وفياً لذكراهم وذكرى أيامهم.. لقد كنت أحب عائلتي جداً ليس حباً غرائزياً حيوانياً عادياً، بل حبي لعائلتي هو حب تجتمع فيه الفطرة مع المكتسبات. فأنا فُطِرت على احترام العائلة وحبها والتضحية من أجلها، وفي الوقت ذاته اكتسبت الكثير من الوصايا والافكار لبناء عائلة صالحة جيدة. كان لدي زوجة وطفلان، زوجتي تُدعى (محنة)،والطفلان بنت وولد جميلان جداً. البنت اسمها (كآبة) والولد اسمه (قلق). زوجتي ليست بغريبة عني، فهي قريبة مني منذ الطفولة كنّا نلعب سوية، ودخلنا المدرسة سوية، وكبرنا سوية، حتى حان موعد زواجي،طلبت يدها من أهلها فلم يعترضوا، ووافقوا مباشرة على زواجي منها. كانت وفيّة معي حين هجرني الجميع، لم تتركني يوماً. كانت الصديقة والحبيبة والأخت والزوجة. ثم رُزقنا بالطفلين، سهرنا على تربيتهم. كانت زوجتي تعلمهما حسن التصرف، وأنا أحكي لهما قصصاً عند النوم. عشنا الأيام صافية ساعتنا، وديعة أوقاتنا، كانت عائلتي هي الدافع الأكبر لي في أن اكتب واكتب بلا انقطاع. زوجتي وطفلاي كانوا المساند الحقيقي لي،

ولم يخطر في بالي أن تتعرض عائلتي لمكروه. بعد أن نذرت روحي ووقتي وجهدي وتفكيري للدفاع عنها. حتى حدث مالم يكن في الحسبان. اصاب مرض غريب عائلتي، لم ينجح معه تطعيم ولا لقاح ولا دواء. باعتراف الأطباء أنه مرض غريب ومن نوع نادر، اطلقوا عليه (فايروس الفرح). تم حجر عائلتي بعيداً عني، في الحقيقة ارعبني هذا التصرف. فلم أطق العيش بعيداً عنهم يوماً واحداً. ولكنني صبَّرتُ نفسي بفكرة ايجاد حلٍّ لهذا المرض، فالأبحاث مستمرة بالطبع والتجارب على وجد دواء للفايروس قائمة. وهذا ما شجعني على الصبر، مع أن الصبر كان مؤلماً كمنشار يقضم لحمي. سمحوا لي أن ألتقي بعائلتي ذات مرة،كانت زوجتي مصفرَّة الوجه هزيلة، وكانت لا تقوى على الكلام حتى. أما طفلاي فكانا هزيلين، ضعيفين كأنهما هيكلان عظميان.لم أجد كلمات تسعف ألمي غير كلمات التمني بالشفاء، كرهت اسم هذا الفايروس اللعين الذي يهدد عائلتي بالفناء. وصرت أسبّه كلما نطق اسمه شخص أمامي. ما هذا المرض الذي يسرق أطفالي من ليالي عمري، وينهب حضور زوجتي وبقائها من أيامي..؟. حتى حدث ماكنت أخشاه... لقد توفيت عائلتي بالكامل... لم أستطع تحمل الخبر، صرخت في المستشفى وبكيت. كان كل من في المكان مشفقاً عليَّ، حتى الممرضات بكين حزناً على حالتي،والأطباء اوصوني بالصبر وتحمل المصيبة. هل ماتت (محنة)؟ هل ماتت (كآبة) الجميلة البريئة، و(قلق) النشط المملوء بالحماس؟. يا لهذه اللعنة التي حلّت على رأسي!!. كنت أتساءل بفضول سوداوي، كيف سأعيش حياتي بلا عائلتي الجميلة، ليت هذا المرض يأخذني أنا أيضاً وأزول إلى الأبد على أن اعيش حياتي وحيداً بلا أسرتي الراحلة. بالفعل تمنيت كثيراً أن يسرقني فايروس الفرح، ذلك الفايروس اللعين الذي سرق عائلتي، ونبذني وحيداً في غرفتي بلا عائلة أو كتابة.

# قبلَ مجيء الصَّباح

يدخلُ المتسول ذو اللحية البيضاء إلى الكوخ، يجد زوجته ممددة على فراشها تسعل وتناديه بصوت راجف: (مثل كل مرة؟).

يجيبها زوجها: (نعم... كالعادة).

يضع سكيناً يحملها في جيبه على طاولة، ويتجه إلى بقعة صغيرة في زاوية الكوخ، يبحث عن كسرة خبز يابسة. تناديه زوجته:

(حال البشر كلهم أفضل من حالنا، الجميع يعود ليلاً بالنقود،وأنت تعود بسكين لعين.. هل نطبخه ونتعشى به؟).

يهبط زوجها على أرض الكوخ الباردة ثم ينظر إليها ويقول:

(لا تلوميني... لا يضع الناس في يدي نقوداً، كأن عفريتاً لعيناً يدفعهم للامتناع عن مساعدتي، سوى يد تخرج من الظلام بلا جسد، تضع السكين في يدي وتختفي.. سأصاب بالجنون).

تسعل زوجته بشدة وتقول بصوت مخنوق:

(سنموت من الجوع قبل أن نصاب بالجنون. لم تلاحظ أن قوتنا بدأت تنفد).

تنزل هذه الجملة على رأس الزوج كمطرقة، وتبدأ معدته تتلوى حتى خارت قواه متمنياً:

(لو أنني أستطيع بيع السكين في السوق، عشرات السكاكين جئت بهن إلى هنا، كل سكين أجيء بها ليلاً تذوب صباحاً وكأن اليد التي منحتني إياها قد منَّت بها!. حتى هذه السكين الأخيرة على الطاولة، لو صبرت معي ومكثت إلى الصبح

لذهبت بها إلى سوق الخردة وبعتها وجلبت بثمنها خبزاً، لكنها لعينة مراوغة ستختفي صباحاً ولن أنتفع بها).

تبكي الزوجة مع نوبة سعال، ينظر إليها زوجها طويلاً، مجال الرؤية بينهما يخالطه غواش خفيف، يفرك عينيه ويقول:

(أنتِ تبكين... لا تملكين غير البكاء وأحسدك على هذا. عيناي جامدتان فليتني أبكي مثلك لكي أرتاح قليلاً).

يسكتان مدة من الزمن، يفكران في الوقت ذاته بمعدتيهما المتألمتين. تتكلم زوجة المتسول بعد أن خفت سعالها:

(سنموت جوعاً وغيرنا يعيش هانئاً، لا أعرف كيف يجني هؤلاء الناس المال، لو أنني مثل باقي النساء المتنعمات أنام على فراش أنظف في غرفة كبيرة دافئة، وحولي أبناء وبنات، لكن حظي القبيح رماني هنا في هذ القبر).

يزفر زوجها بقوة ويضع كفه على رأسه فتكمل زوجته:

(أنا المسؤولة عن كل هذا، لو كنت أحسنت الاختيار منذ البداية). يرفع زوجها رأسه ويطالعها بعينين توسعتا ويقول:

(ماذا تقصدين؟ أنت وأهلك كنتم تعيشون في قاع الفقر، لا تنسي أن أهلك ماتوا جوعاً من قبل.. كلكم متسولون)

تصرخ الزوجة: (واهلك ماتوا جوعاً أيضاً).

ينهض الزوج من مكانه متجهاً إلى زوجته ويقول:

(اخرسي... لقد مللت لومك المتكرر.. ماذا أفعل وأنا عاجز عن فعل أي شيء.. الشيء الوحيد القادر على فعله الآن هو قتلك بهذه السكين وقتل نفسي). يصمت الزوج والزوجة برهة، ثم ينظران إلى مكان السكين على الطاولة، ويعودان وينظران كل واحد إلى عينيّ الآخر. تمرُّ اللحظات ثقيلة، ثم يعود الزوج ليقول:

(إنها الفرصة الوحيدة لكي ترتاحي يا عزيزتي..قبل أن تذوب هذه السكين عند الصباح ولا نستفيد منها في شيء).

يتجه المتسول إلى الطاولة... تهتف زوجته

:(ماذا ستفعل أيها المجنون..؟).

يرفع الزوج السكين ويهتف في وجه زوجته:

(لهذه السكين عمل وحيد تجيده)

بعد أيام يشيع الخبر في المدينة، خبر مقتل المتسول وزوجته في كوخهما ذبحاً بطريقة غريبة، حيث عثرت الشرطة على جثتيهما سابحتين بالدماء، من دون العثور على أدلة ترشد إلى كشف الجريمة.

# بَرْداً وفَزعاً

قرر التخلص من الشجرة التي زرعها في حديقته قبل سنوات. حين يأس منها، وكره شكلها الذي لم يكن كشكل باقي الأشجار، هي لا تكبر مع أنه سقاها نهراً من الماء. ورقها مسنن، ولم تحمل ثمراً في يوم.. حين يخرج و يدخل إلى المنزل يشتمها وهي جامدة. حتى الهواء الذي يداعب أغصان الأشجار الاخرى لا يحركها، والعصافير لم تبن فيها عشاً، والبلابل لا تتغازل على أغصانها. اشترى فأساً حادة وهمَّ بضربها. صنع جرحاً بليغاً في جذعها، ثم توسع الجرح مع ضربات الفأس حتى سقطت على الأرض صريعة. قطعها إلى أجزاء لكي يستخدمها حطباً للمدفأة. لم يكن بحاجة إلى نارها، ولكنه اراد الانتقام منها. حين يرى اجزاءها لقمة للهب. كانت النار المشتعلة في الحطب غريبة..! إنها نار بلا دفء!.كلما رمى بجزء كلما زادت برداً!. النار متوهجة بقوة لكنها لا تعطي حرارة.. مدَّ يده إلى النار،لامسها،كانت أبرد من جوف ثلاجة. فرغ الحطب كله في المدفأة، مرتجفاً من البرد بلا جدوى.. في صباح اليوم التالي، لم يذهب إلى العمل كعادته... لقد كان شاحباً بلا حراك، متجمداً على الكرسي منذ الليلة الفائتة.

# مدينةُ الأقفال

لم يكن للمفتاح صاحب في مدينة الأقفال. حين كان يسير في شارع ما، تتغشى رعباً منه الإناث، ويحيد عن دربه الذكور. منذ ان رأى النور طفلاً ودخل المدرسة، والأقفال يوصون أولادهم (لا تلعبوا مع المفتاح.. احرصوا على إقفال نفسكم جيداً... لا تدعوه يعبث في مؤخراتكم فيفتح رؤوسكم فتندمون). وحين كَبُر وصارَ مفتاحاً شاباً، لم يشترك في مباراة أو يجلس في مقهى أو يخرج في رحلة مع أحد. كيف يعاشر أقفال المدينة، وهم حين يروه يهربون مفزوعين متحاشين رأسه المدبب، حذرين على مؤخراتهم منه؟!. لقد عاش المفتاح وحيداً طوال عمره، وتأقلم مع كل ما يحيطه من جفاء. وبعد سنوات هَرِم المفتاح وصار أعمى، ولا يسير إلا بمعونة عكّازه. فرح أهل المدينة وهبطت السكينة على قلوبهم. صاروا يصافحوه حين يمشي في الشارع، ويرشدوه إلى طريق العبور، وحين يخافه طفل من الأطفال تهدئه أمه وتقول (لا تخف يا بني... إنه كجدِّك... لا تخف على مؤخرتك منه فهو الآن أعمى).

## ماذا حلَّ باليمام..؟

لم نرَ في حياتنا رجلاً بطيبة جارنا صديق اليمام. هكذا اسميناه بعد أن رأينا حبه وصداقته مع هذه الطيور. كان يجلس طوال الوقت متفرغاً لنثر الطعام، ثم يأتي اليمام ليلتقط الحب الذي يلقيه جارنا. لقد وصل الأمر إلى أن اليمام يحط على كتفيه وحضنه، ويأكل من كفيه مباشرة. لقد شعرت الطيور بأمان كبير مع جارنا الحنون. ولم يكن بوسعنا إلا الجلوس من بعيد والنظر إليه، في طقس كرنفالي بديع. سرب يحط وسرب يطير وهو يضع كيساً مملوءاً بالحبوب، يدس كفه في الكيس، يغرف منه كمية ثم يلقيها على الأرض مبتهجاً. بعد مدة انتبهنا إلى خلو السماء من اليمام، لم نر للطيور أثراً لا في البساتين ولا على الشرفات ولا على أسلاك الكهرباء!. حتى اليمام الذي كان يحط ليأكل من يد جارنا لم نر له أثراً. وحين سألنا الجار عن اليمام قال(لا أدري... لم يزرني طير واحد منذ أيام.. لعلها وجدت مكاناً آخر تأكل منه فأنتم تعرفون أن الطيور جشعة أيضاً). ثم ضحك وغادرنا من دون أن نعرف مصير اليمام.. لقد كان الجار يحمل كيس نفايات كبيراً، وكانت البدانة واضحة على هيئته.

# إِضْراب

مات الطفل الذي اضرب عن الطعام قبل مدة. امتلأت الصحف بخبر وفاته. الأحاديث تناقلها الناس عن امتناع الطفل وعناده(مات ابن الموظف... مسكين لقد حزن أبوه المنكوب على فقده... على كل حال هذا أفضل فوالده لا يستطيع شراء حذاء جديدة، كيف يقوى على تربية طفل) هكذا تناقل أهل المدينة الأحاديث،حتى اعترف والده أنه هو القاتل... لقد دوّن المحقق في مركز الشرطة اعترافه حين قال(أنا قتلته... لقد قلت له مشجعاً ذات مرة أنك لو تناولت طعامك ستكبر.. ستكبر وتكون رجلاً. ثم سألني إن كان سيكبر ويصير مثلي، فقلت له نعم... بالتأكيد. ومن يومها لم يضع لقمة في فمه حتى مات خاوياً من الجوع).

# اليد

حدث شيء اذهلني في إحدى الليالي، شيء اذهلني وطرد النوم عن عينيَّ في وقتها. كنت جالساً قرب النافذة، وإذا بيد جاءت من الظلام، ناولتني حزمة توصيات وذابت..!. قرأت توصياتها بفضول قاتل. أوصتني أن أغسل فمي من الابتسامة، وأنظف أذني من الموسيقى، وأشتري باقة حشيش من البستان، أتسلى بها وأنا أشاهد شوطاً من مباراة كرة الرأس. اوصتني أن لا أبخل وأتبرع بعضّة من جسدي لأي (زومبّي) جائع؛ لأتحول بعدها إلى إنسان حقيقي، إنسان ينام على وسادة  الخدر. وأُقلعُ شيئاً فشيئاً عن العادات السيئة.. عن تناول الأدوية المنبهة، تلك التي يسميها الجميع (وعياً). في البداية تضايقت من توصياتها، ولكن بعد أن درست الموضوع جيداً وجدته مذهلاً. كيف أرفض وجبة حياة لذيذة محشوة بعسل البلاهة؟!.كيف أصبر على كل هذه الوساخة في عقلي؟،ولا أستحمُ في حمام الفوضى العمومي!. أنا الآن أفضل بكثير... في حفلة الضياع هذه لا بد من لبس بذلة أنيقة، بذلة مصنوعة من أفخر أقمشة الغباء... شكراً لك أيتها اليد.

# حينَ أكون وحيداً

بعد يوم في العمل الوظيفي المرهق، وساعات متشابهة كنقيق ضفادع.أعود إلى غرفتي. لا أفعل شيئاً سوى نزع عباءة الغبار، وترك ظلي واقفاً خلف الباب. أجلس تحت شجرة خيالاتي، أنتظر عودة القرارات الخطيرة إلى أعشاشها، أمارس الطفولة وأكواماً من التوافه،أعلق عقلي في الدولاب مع ملابسي العتيقة، أضاجعُ جنوني،أرقصُ عارياً، وحين يطول الانتظار بلا جدوى، أهرول صوب نافذة شقتي العالية، حيث لا أملك سوى العواء، ثم أبولُ على رؤوس المارة المحتشمين. وبعد أن ينال مني التعب أغفو... أغفو على سريري المتهرئ. حتى يأتي النهار فيدق أحدهم الباب... أفتحها لأجد ظلي واقفاً كالعادة، يقفز ككلب فرح، متلهفاً للزحف على دروب المدينة المتربة.

# يوميات رجل

رجل يعيش وحيداً. يضايقه الوقت، توبخه الأحلام. مازال يحتفظ بسنٍّ لبني، وحين يرى شبحاً في الليل يبول على نفسه من الفرح.

* * *

كلما تصفعُهُ معلمةٌ في درسِ العشقِ،يخنسُ في غرفتِهِ، ويمصُّ إصبعَ الندم.

* * *

ينامُ في الدولاب ويخرج ظله صباحاً إلى العمل.يهيمُ في صحراء الهموم، تاركاً فمَه على طاولةِ المنزل يصرخ من العطش.

* * *

ضاعتْ طفولته،كوردةٍ بينَ ثنايا الأحزان،لا يصله منها إلا ومضات كالبرق بحث عنها كثيراً،لكنهم لم يخبروه،أنها في القاع تحتضنها الأمواج. تنتقل آهاتها إلى الساحل كل ليلة، فقشعرَّ أبدانُ المراكب،وأشجارُ الغابة النائمة.

* * *

وجْهه مرآة كبيرة، والنظرات حوله أحجارٌ قاسية.

* * *

حين يتسكع تشتمُه الطرقاتُ، وتبصقُ على وجهه إشاراتُ المرور.

* * *

تضيقُ على رقبته مِشنقةُ الوقت، يهرول في غرفته كجرذ، يحلمُ بقمر شهيٍّ كالجُبّنة، متحسراً على سرير باعه مع كومةَ أخشابٍ لصانع التوابيت.

* * *

يخشى الأزقّة المظلمة، لا خوفاً من مديةٍ يحملها سكّير، أو حجرٍ يُلقى من سطح.. لكنه يخاف من اسمه، إذا افلته احدُهم ورائه مثل كلبٍ مسعور.

* * *

أُبتلى بصبيٍّ متسكع يُدعى الملل، يخشى كلَّ النوافذ في مدينته، ويمارسُ هواية التهديف على نافذة أيامه.

* * *

حين يجلس في غرفته، يبكي على حاله الجدار، وتربِّت على كتفه الوسادة.

* * *

يحمل ذخيرة وفيرة من الدموع، تكفي لحروب البكاء لا ينقصه سوى ضحكة... ضحكة واحدة... يشتلها راية للنصر في نهاية المعركة.

ANMAR RAHMATALLA

# بائع القلق

في هذا الكتاب يسافر بنا القاص أنمار رحمة الله، في رحلة شائقة عبر عوالمه الخاصة. من خلال رسم لوحات قصصية غرائبية. وشخصيات إشكالية يستلها من الواقع، ويعيد تكوينها بعد ادخالها في جو من السريالية. الكتاب رحلة يتمازج فيها الخيال الخصب، مع أحداث مشوقة في رؤية عميقة تثير التساؤل، وفضاء من الرؤيا الاستشرافي البعيد، ونهايات مؤثرة وصادمة. سيجد القارئ في قصص هذا الكتاب مدينة بعيدة وغريبة، ملامحها تشير إلى أنها (ديستوبيا) خارج نطاق الزمان والمكان الواقعي، مشحونة بالغرابة والتوتر والقلق، يجد القارئ فيها نفسه وجهاً لوجه، مع مواضيع وتساؤلات وألغاز شتى. من لغز الموت والحياة مروراً بالعصرنة والضياع وتحدياتها قبالة الكائن الضعيف الذي يُدعى (الإنسان). الكتاب وجبة غنية بالقلق الذي أشار إليه (ألان روب جرييه)، فالقصة الحقيقية هي التي لا ينام بعد قراءتها القارئ مرتاحاً، بل يظل متحيراً هائماً في بحار التأمل باحثاً عن الحقيقة وأجوبتها.

ISBN 978-1-7732251-8-0
9 781773 225180